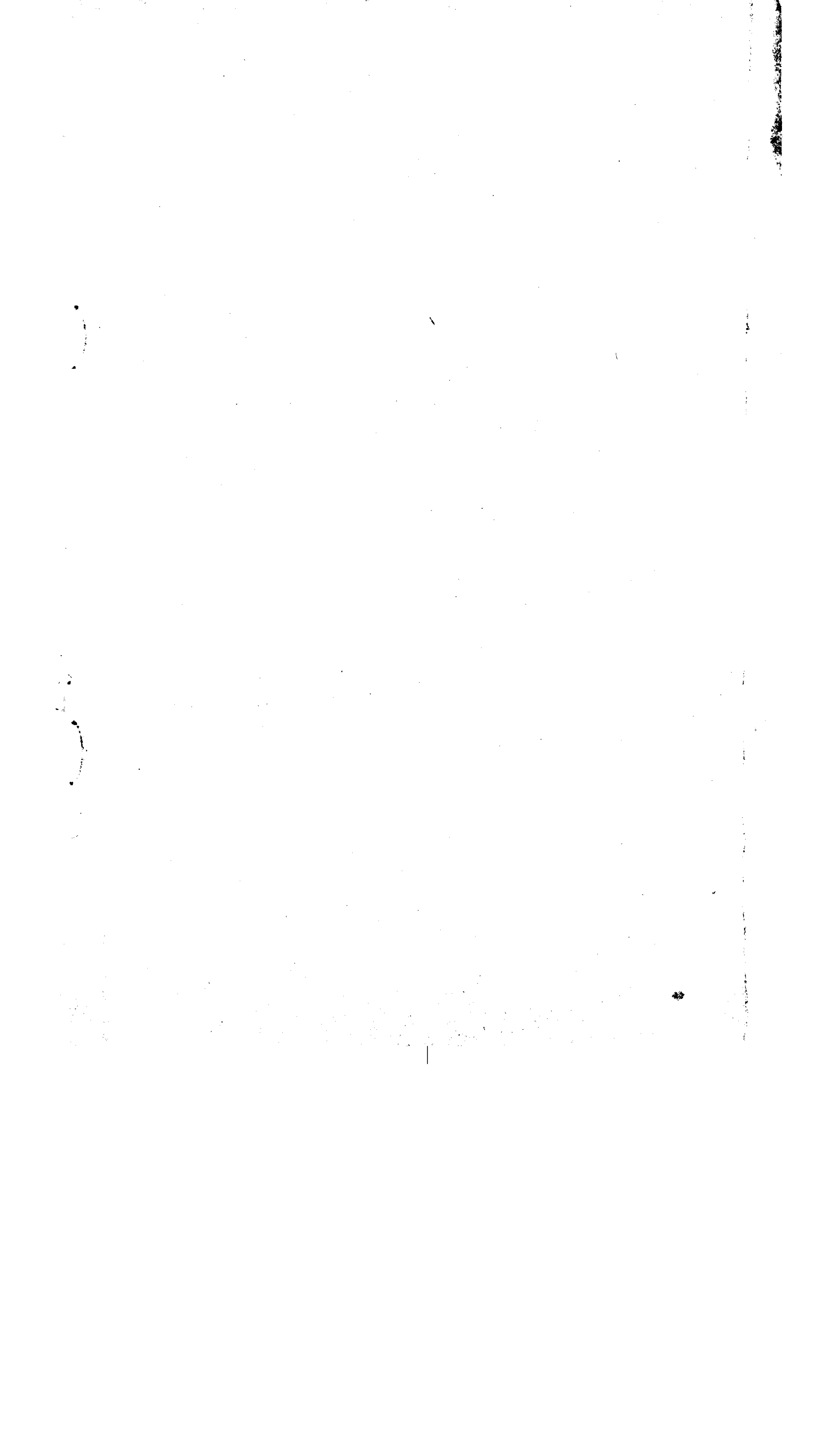
الدكتور حسن أحمد الكبير
وكيل كلية اللغة العربية
بالزقازيق

دراسات
في
الأدب واللغة



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

الحمد لله الذى جعل التفكير في ملكوته ومخلوقاته سبيلا الى العلم والهداية الحقة ، والصلاة والسلام على من هدى به الله القلوب والعقول ، فوجهها الى التأمل والنظر في خلق الله ، فاستضاءت بنور العلم وسلكت طريق الهداية والرشاد .. وبعد

فهذه مقدمات في دراسة بعض الجوانب الأدبية واللغوية ، وهى وان كانت في موضوعات مختلفة ، بحيث يمثل كل موضوع منها مقالا مستقلا ، فانها جميعها تلتقى في رافد واحـــد هو الدراســـة الأدبية واللغوية ، فهـــذه الدراســـة تضم كل ما يمس الادب ويخدم لغـــة الضاد ، بغض النظر عن فكرة الموضوع أو طريقة معالجته للقضية التى يتناولها ، حيث يجمعها خيط واحـــد هو فكر الكاتب وآراؤه وخواطره تجاه مسائل الأدب واللغة .

وما أقدمه اليوم من دراســـة لبعض قضايا الأدب واللغة انما يعالج موضوعات تشغل فكر المهتمين بالثقافة العربيـــة ، ويغطى جانبا من اهتمامات دارسي ومحبى اللغـــة العربية وآدابها . حيث تحرص هذه الدراســـة على تزويد طلاب العلم والمعرفة بمعلومات ومعارف حاجتهم اليها - كما يتراءى لى - عظيمة ، ومعرفتهم بها في مقدمة احتياجاتهم الفكرية . فالتعرف على طريقـــة البحث عن موضوع للدراسة والاطمئنان الى اختياره ، ثم بيان كيفية الوصول الى مصادر البحث ومراجعه ، والطريقة التى يســـلكها الباحث في تدوين معلوماته وأفكـــاره ، ثم الاحاطة بطـــرائق توثيـــق النص وتحقيقه ، واطلاع طلاب العلم على معالم النهضة في نثرنا الحديث

وما اتجه اليه من فنون القول كالقصـــة والمقال ، والتعريف بألوان المقال وفنونه ، ثم التعريج على الشعر ودراسة أشكاله الأولى عند اليونان والعرب ، وهل اتسع شعرنا في العصر الحديث لفن الملاحم ؟، وما موقف النقد من هـــذا الفن في عصرنا الراهن ، ثم الانعطـــاف بالقـــارىء الى رحاب البردة المحمـــدية والوقوف به لدى شـــاعر الروحانيات نيروى النفس بدفقة روحانية تثلج صدره وتنعش فؤاده، ثم التزود بمعارف السيوطى وأزاهيره اللغوية ، واطلاع المتلقى على نشأة اللغة العربية وتدوينها ومقياس فصاحتها ، ثم بيان تصدى هذه اللغة متطلبات العصر الحديث أم أنها في حاجة الى الدخيل ، وما رأى علماء اللغة في التعريب ، ثم تنبيه القـارىء الكريم عـلى بعض الاستعمالات اللغوية الخاطئة التى تداولتها الألسـنة وبيان أوجه الصحة فيها ، ثم الانتهاء بهذه الدراسات الى القاء الضوء على جانب من التحديات التى تعرضت لها لغتنا الجميلة سواء كان ذلك في حملات جماعية أم دعوات اصلاحية خادعة ، ثم بيان موقف المفكرين العرب من هذه الحملات الشرسة ٠

هذه الخواطر والأفكار أجدها قريبة من فكر القارىء العربى ، بل ويضعها في مقدمة رغباته الفكرية والثقافية ، فهى قطوف من أزاهير الأدب واللغة ، أضيفها الى مائدة الفكر العربى ، فينهض اليها الباحث والأديب في رغبة وشوق ليتزود منها بلطيف الافكار ، وشهى الثمار ٠ بذلك تؤتى هذه الدراسة أكلها ، وتسهم – ولو بقدر – في اثراء العمل الأدبى واللغوى ، وذلك ما نقصده ونرجوه ٠

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ٠

دكتور

حسن أحمد الكبير

كلية اللغة العربية بالزقازيق

(البحث الأدبى)

البحث الأدبى هو المحاولة الدءوبة لكسب المعرفة والتعرف على حقيقة الأشياء ، والبشرية منذ عهودها الأولى محاولاتها المستمرة لفهم ظواهر الكون والحياة ، وقد اتصلت هذه المحاولات ولم تتوقف في وقت من الأوقات ، وشاركت فيها الشعوب جميعها على اختلاف أجناسها وألوانها ، فكان رصيد هذه الجهود تراثا انسانيا عظيما في شتى نواحى الحياة ·

ولا شك أن وسائل كسب المعرفة وطرق البحث قد تطورت بمرور الزمن ، وكانت في كل فترة من فترات تطورها تنتفع بجهود سابقيها ، ثم تمضي فترتاد خطوة جديدة على الطريق ، وأصبح البحث في العصر الحديث شعار الحياة ، والأساس الأول في النهضة والتقدم ، وعنوان الرقى والتحضر ، فبفضله اكتشف الباحثون الأمراض والأدوية المعالجة لها ، وتوصل العلماء الى التعرف على جوانب عديدة من هذه الحياة ، فاكتشفوا الذرة ، وأطلقوا المركبات التى صعدت الى أجواز الفضاء ، وحقق العلم انتصارات هائلة نتيجة للبحث المتصل ، واعمال الفكر في شتى شئون الحياة ·

وكان الاسلام — منذ نشأته — داعيا الى البحث والتأمل ، فقال تعالى : « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب · الذين يذكرون الله قياما وقعودا ، وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ماخلقتهذا باطلاسبحانك فقنا عذاب النار » (١) ·

---

(١) الآيتان ١٩٠ ، ١٩١ من سورة آل عمران ·

وقد تتالت آيات القرآن الكريم تحض على التـــأمل والتفكير والنظر في الكون والحياة ، ومجد الاسلام العقل فجعلهمناط انسانية الانسان ، ان تعطل أو جمد مسخت هـــذه الانسانية وهبطت الى دونية الدواب العجماء : « ان شر الدواب عنـــد الله الصم البــكم الذين لا يعقلون » • كما قصر الاسلام خشية الله على العلماء فقال تعالى : « انما يخشي الله من عباده العلماء » لانهم بما يفكرون في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار يؤمنون الا شيء من هذا يمكن أن يسير بتلقائية عشواء ، أو يكون عبثا باطلا • ولذلك فقد حرص المسلمون على اعمال فكرهم فيما حولهم ، وربط هـــذه المخلوقات بمنشئها ومبدعها ليصلوا الى اثبات وجـــود الخـــالق وضرورة عبادته ، والتسليم له بالوحدانية لانه وحده الخالق المحيي والمميت ، وهو على كل شيء قدير •

سارت الحياة في رحاب الاسلام تدفع المســـلمين الى البحث والكشف عن الجديد في الحياة والكون والوجـــود ، وانطلق العلماء المســـلمين يدرسون الظواهر الكونية ويؤيدون النظـريات العقليـــة بتجارب عملية ، حتى أنه لم يمض قرن على تعريب التراث القديم للعقل البشرى ، حتى قدم هؤلاء العلماء الجديد الأصيل من العلوم الطبيعية والرياضية ، ودخلوا التاريخ العلمى روادا لآفاق لم يصلوا اليهـــا من قبلهم ، ووضعوا أوليات الكتب التجـــريبية في الطب والتشريح والصيدلةوالكيمياء والطبيعة والفلكىوالملاحة والجغرافيا• كما استطاعوا أن يقيموا نهضة فكرية واســـعة في بغـــداد والأندلس والقاهرة ودمشق وفي جامعات قرطبـــة وفاس والقيروان والقاهرة ودمشق ومكة والمدينة المنورة وجرجان وسمرقند وبخـــارى وطشقند وغيرها من مختلف الجامعات القديمة •

ويكفى أن نذكر بعض الأعلام الروادمن علماء المســـلمين الذين أسهموا بكشوفهم العلمية في رقى العالم وتقدمه : ـ فالخـــوارزمى

(أبو جعفر محمد بن موسى م ٨٤٩ م) كان من علماء دار الحكمة ببغداد في عصر المأمون ، يعتبره مؤرخو العلم أكبر رياضيي عصره وواحدا من أكبر رياضيي العصور على الاطلاق (١) « .. ووصلت رسالته المنهجية في الحساب الرياضي الى أوربة في القرن الثاني عشر الميلادى في ترجمة لاتينية تحتفظ « كامبردج » بنسختها الوحيدة ، وكان لها الفضل الأكبر في توجيه الأنظار الى طريقة حسابية جديدة ميسرة . كما وصل كتابه « المختصر في علم حساب الجبر والمقابلة » في مخطوطة فريدة مترجمة الى اللاتينية ، فأعطى علم الجبر اسمه وبزغ به فجر جديد في ميدان الرياضيات وكان فضله الأكبر « أن وضع في الوقت المناسب مصنفا فريدا في بابه ، كان له الأثر المباشر في تعميم الجبر على مر القرون » (٢) . كما كانت « جداوله الفلكية » وكتاب « صورة الأرض » ذات تأثير بعيد المدى في الحضارة الأوربية وأساس للمؤلفات الفلكية والجغرافية في أوربة .

– والبيرونى – أكبر شخصية علمية عاشت في القرن الرابع الهجرى « العاشر والحادى عشر الميلاديين » يقول عنه كراتشكوفسكى : « ولا نملك الا الانحناء في خشوع واحترام أمام النتائج العلمية الباهرة التى توصل اليها ، والتراث العلمى الحافل الذى أنتجه في ظروف الزمان الذى عاش فيه (٣) .

فقد كان مؤلفا واسع المعرفة ، شمل نشاطه كل دائرة العلوم المعاصرة له ، والتى تحتل العلوم الرياضية والفيزيائية المكان الأول بالنسبة له الى جانب ما له من شهرة في ميدان الجغرافيا والرحلات .

---

(١) تاريخ الادب الجغرافى ١/٥٦٣ لكراتشكوفسكى . ترجمة الدكتور صلاح الدين هاشم . القاهرة ١٩٦٣ .
(٢) تاريخ الأدب الجغرافي لكراتشكوفسكى ١/٩٩ .
(٣) المرجع السابق ١/٢٤٥ .

– وجابر بن حيان – عالم الطب الشهير – كان صاحب الفضل فيما عرفه الأوربيون عن ملح النشادر وماء الذهب والبوتاس وبعض السموم • وقد ترجم له كتاب «السبعين» وكتاب «تركيب الكيمياء» الى اللغة اللاتينية في أوائل القرن الثانى عشر ، وظلت كتبه عدة في هذا العلم بين الأوربيين الى أواخر القرن السابع عشر فترجم كتابه « الاستتمام » الى اللغة الفرنسية عام ١٦٧٢ م (١) •

– ومحيى الدين بن عربى – الأديب العالم الذى كان له فضل السبق في كثير من البحوث الادبية والعلمية ، ولاحظ كثير من المستشرقين أن الشبه قريب جدا بين أوصاف الجنة في كلامه وأوصاف « دانتى »(٢) لها في القصة الالهية التى وصلت رحلته الى العالم الآخر •

– وابن طفيل – الفيلسوف العربى الذى كانت لرسالته « حى ابن يقظان » أثر عظيم على الفكر الاوربى واحتذاها كثير من أدبائهم ، وكانت رحلات جليفر التى ألفها « سويفت » ورحلة روبنسون كروز التى ألفها « ديفوى » مدينة لهذه الرسالة ولقصة الف ليلة وليلة التى ترجمت الى اللغات الأوربية في أوائل القرن الثانى عشر •

وعشرات من العلماء والمفكرين العرب – غير هؤلاء – أسهموا ببحوثهم العلمية في النهضة الأوربية الحديثة ، وكانوا للفكر الانسانى مشاعل وضاءة تفتح مغاليق المجهول ، وتمد الحركة

---

(١) أثر العرب فى الحضارة الأوربية للعقاد ص ٤٣ • دار المعارف بمصر الطبعة ٨ •

(٢) شاعر ايطالى (١٢٦٥ – ١٣٢١ م) أحد عظماء الشعر فى العالم، وأهم أعماله الأدبية « الكوميديا الالهية » •

العلمية والفكرية في العالم بأقيم البحوث وأدق النتائج والنظريات، كابن سينا (م ٤٢٨ هـ) والرازى وابن رشد والجاحظ (م ٢٥٥ هـ) وأبى العلاء المعرى (م ٣٦٣ هـ) يقول أصحاب كتاب « الحضارة الأوربية سياسية واجتماعية وثقافية » مشيدين بجهود العلماء العرب وأثرهم على الحضارة الأوربية : « في خلال قرنين نقل الى العربية كل ما خلفه الاغريق من التراث العلمى على التقريب . وأصبحت بغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة مراكز لدراسة العلم وتلقينه ... وأخذت المعرفة بهذه الثقافة الاغريقية العربية تتسرب الى أوربة الغربية في أواخر القرن الحادى عشر والقرن الثانى عشر» ولم يكن تسربها من أثر الغزوات الصليبية كما سبق الى الخاطر، ولكنه جاء عن طريق صقلية الى ايطاليا ، ومن أسبانيا المحمدية الى أسبانيا المسيحية ، ثم الى فرنسا ، وتسابق الرجال من ذوى العقول اليقظى الى بلارمة وطليطلة لتعلم اللغة العربية ودراسة العلوم العربية ... وقضي بعض الطلاب سنين عديدة في أسبانيا ثم قضوا أعمارهم كلها في هذا العمل المقصور على ترجمة الكتب العلمية العربية الى اللغة اللاتينية ... وعلى هذا النحو كانت أوربة قد استولت — في مستهل القرن الثالث عشر — على محصول العلم الاغريقى والعربى بحذافيره ، وأصبح تدريس العلم في الجامعات الحديثة من الامور المؤثرة المتفق عليها » . والمهم — كما يقول العقاد — : « أن الأوربيين تناولوا مشعل العلم من أيدى العرب فاستضاءوا به بعد ظلمة ، وبلغوا به بعد ذلك ما بلغوه من هذا الضياء العميم الذى انكشفت به أحدث العلوم ، ولو لم يحمل العرب ذلك المشعل شرقا وغربا لكان من أعسر الأمور أن يقدح الأوربيين نوره من جديد ، ولذا أفلحوا في قدحه فقصاراه ثلاثة قرون أن يقف دون الشأو الذى انتهى اليه جهد الانسان في عشرات القرون (١) .

---

(١) أثر العرب فى الحضارة الأوربية ص ٤٧ .

والبحث الأدبى ما هو الا فرع من البحث العام ، وعليه يتوقف النهوض بالدراسات الادبية والتجديد فيها ، والكشف عن اصولها ، وهو في الوقت ذاته يتأثر بالالوان الثقافية والعلوم المزدهرة والسائدة في هذا العصر ويستفيد منها ، ويحدد اطاره الخاص وفلسفته المستقلة على ضوئها ، وعلى هدى منها .

ويمكن أن نحدد بعض اتجاهات البحوث الأدبية وموضوعاتها على النحو التالى :

١ – دراسة عصر من العصور الادبية كالعصر الجاهلى أو الاسلامى أو العباسي الأول في دراسة أدبية هدفها التعريف بأدب ذلك العصر وأدبائه وأهم الظواهر والفنون الادبية التى ظهرت فيه .

٢ – دراسة جنس من الأجناس الادبية كالقصة أو المقال أو الخطابة ، وذلك في عصر من العصور أو لدى أديب من الأدباء .

٣ – دراسة ظاهرة من الظواهر الأدبية المتميزة ، كدراسة الموشح من حيث نشأته في الشعر العربى وألوانه وخصائصه الفنية وأعلامه من الشعراء . أو دراسة فن المقامة وأصولها وخصائصها الفنية وأثرها في الأدب العربى وأبرز كتابها والتعريف بهم . . . وهكذا .

٤ – دراسة شخصية من الشخصيات الأدبية البارزة في الشعر أو في النثر من القدامى أو المحدثين ، وبيان أثر هذه الشخصية في القرن الذى برز فيه وما يتميز به فنه الادبى من سمات وخصائص فنية .

٥ – دراسة موضوع من موضوعات الادب أو نظرية من نظرياته في الشعر أو في النثر ، في القديم او في الحديث ، كالقصة في الادب العربى ،

وهل هى أصلية فيه أم متأثرة بالأدب الغربى ، وكموضوع « المذاهب الأدبية الغربية وتأثر الادب العربى بها » • أو أثر الثقافة الغربية في الأدب العربى الحديث • وغير ذلك من الموضوعات أو النظريات التى تثير حولنا جدلا وتكاد الآراء تختصم من حولها وتتصارع •

٦ - دراسة مدرسة أدبية لها سماتها وخصائصها المتميزة التى كان لها دور بارز في وسم الادب بسمات خاصة واضحة مثل : « مدرسة المهجر في الجنوب الامريكى أو الشمالى ، أو مدرسة أبولو وأثرها في الشعر العربى الحديث •

٧ - دراسة حركة من حركات النقد في الأدب العربى قديما أو حديثا كدراسة حركة النقد في القرن الثانى الهجرى ، أو لدى نقاد القرن الرابع الهجرى ، أو في العصر الحديث •

٨ - تحقيق نص أدبى قديم أو حديث • وذلك يكون بعرض النص وتوثيقه بمقابلته على الطبعات والمخطوطات الأخرى ، ثم شرحه وتحليله وبيان أهميته وخصائصه الفنية • • وقد يكون هذا التحقيق لرسالة أدبية أو لديوان من الدواوين الشعرية أو لبحث من بحوث الأدب لأديب من الأدباء • ولأهمية هذا الموضوع ، الذى نطلق عليه : « تحقيق التراث سنفرده ببحث خاص » •

(كيف تكتب البحث الأدبي ؟)

١ - من أهم الأمور في كتابة البحث اختيار موضوعه ، إذ باختيار الموضوع يجتاز الباحث مرحلة صعبة من هذا العمل الفني، لأن الاختيار صعب وإلا يصل إليه الباحث إلا بمشقة وجهد عظيمين ، فقد يلجأ الى أحد الباحثين أو أساتذته في الجامعة ليحددوا له موضوع بحثه ، وبعد هذا التحديد يجد نفسه في بحر متلاطم الامواج لأنه لا يعي من حقيقة هذا الموضوع سوى اسمه ، فاذا ما أخذ يقرأ بعض المراجع عنه تبين له أنه لا يتفق مع ميوله أو قدرته العلمية ، أو انه متشعب الأفكار والعناصر متعدد الجوانب ، و أن مراجعه محدودة لا تكفي لتكوين فكرة عامة عنه ، أو ان الموضوع قد سبق بحثه أو دراسته دراسة واعية ، أو أن الموضوع بسيط تكفي فيه المقالة أو الصفحات المعدودة ، ويحاول الباحث أن يسير فيه ، فاذا به يتخبط وتزل قدماه وبعد جهد يتأكد له عدم قدرته على الاستمرار في هذا الموضوع . فيضطر الى التوقف عن الكتابة في هذا الموضوع ويأخذ في البحث عن موضوع آخر ، وهكذا يضيع وقته وتذهب جهوده دون طائل ، وذلك راجع الى أنه لم ينهج الطريق السليم في اختيار موضوعه .

وحتى يتجنب الباحث ذلك الطريق المحفوف بالمخاطر لا بد له قبل اختيار موضوعه أن يقرأ قراءات متنوعة ويعكف على كتب الباحثين والدارسين يستعرض موضوعاتها وأفكارها ، ومن خلال القراءة يستطيع تحديد موضوعه الذي يلقى هوى في نفسه ويتفق مع ميوله وإمكاناته العلمية ، وان كان ذلك لا يمنع من اقتراح الأستاذ لبعض الموضوعات يختار الطالب من بينها ما يناسبه .

ولكى تكون خطوات الباحث الأدبى سديدا ، يجب عليه أن يحدد لنفسه العصر الذى يعمل فيه والمكان أو الاقليم والأشخاص والجوانب المختلفة المتصلة بالبحث • فالعصر : ونقصد به الفترة الزمنية التى ستضم أطراف بحثه ، يجب أن يختار الباحث منه جانبا واحدا أو شاعرا أو اديبا ، ولا يصح - وخاصة من باحث مبتدىء - أن يدرس العصر من كل جوانبه فان ذلك يئول به الى أن يضطرب الموضوع في يده لاتساع مساحاته الزمانية ، وكلما كان الموضوع محددا كان اكثر صلاحية للبحث والدراسة •

كذلك يجب الاحتياط الشديد ازاء اتساع المكان او الاقليم الذى يدرسه الباحث لأن البحث في اقليم ممتد الأرجاء كبلاد الأندلس أو مصر من شأنه أن يعرض الموضوع لنقص جوانب منه ، وقد تكون جوانب أساسية لأن طاقة من يبحثه محدودة وخاصة اذا كان في بداية حياته العلمية مما سيضطره الى تدوين آراء غيره ونتائج بحوثهم دون قدرة منه على اضافة شيء جديد يبرز جهوده أو يؤكد أصالة بحثه •

والأمر كذلك بالنسبة للعصر الذى يحدده الباحث ، فمثلا اذا اختار عصر المماليك في مصر ، فانه سيجد نفسه بازاء ثلاثة قرون يدرس ما انتجه الأدباء خلالها من شعر أو نثر ، وما كان من اتجاهات هذا الأدب وصنوفه وألوانه وأعلامه من الشعراء ، وكل جانب من هذه الجوانب يفتقر الى دراسة متنوعة •

والأعلام والشخوص في كل عصر وفي كل اقليم في حاجة ماسة الى الاحتياط الشديد معهم وخاصة أن الباحث الناشىء لا يعنى بالمغمورين الذين لا يتبين فيهم عادة الا جانبا واحدا ويوجه معظم عنايته الى الشعراء ذوى الشهرة والملكات المبدعة ممن تتعدد

جوانب التفوق لديهم فيدرسها ، وهذا - ولا شك - يوقع الباحث المبتدىء في خضم من التيارات التى كثيرا ما تشوه بحثه وتعيبه عيبا بالغا ، ولذلك يجب أن يأخذ جانبا واحدا من الجوانب التى تفوق فيها الشاعر أو طرقها مثل « التصوير في شعر امرىء القيس » أو « التطير في شعر ابن الرومى (م ٢٨٦ هـ) » أو «شعوبية بشار بن برد (م ١٦٨ هـ) » أو « خمريات أبى نواس (م ١٩٩ هـ) » أو « الوصف عند أبى تمام » وما الى ذلك من الجوانب الخليقة بالدراسة والبحث عند كثير من شعراء العربية في القديم والحديث لأن ذلك سيمكن الباحث من الوصول الى بعض المصادر القديمة الخاصة بالشاعر ، قد لا تكون قد أتيحت لغيره من قبله أو اطلع عليها ، وفي الوقت نفسه يستطيع الباحث أن يحيط بدقائق هذا الموضوع ويتعمقه ويستنبط من الآراء ما يمكن اضافته الى البحوث الادبية ، أو تتكون لديه فكرة جديدة للشاعر ينفذ من خلالها الى اكتشاف أشياء جديدة تضفي على بحثه الجدة والأصالة .

وأخيرا فان التنقيب عن بعض الجوانب التى لم يعن بها الدارسون والباحثون من الأمور التى تجعل من البحث كشفا جديدا ، وتسمه بسمة الأصالة والابداع وتمكن الباحث من تأكيد ذاته من خلال ما عرض له من قضايا ومباحث جديدة .

ويمكن أن نجمل أهم ما يلتزم به الباحث في اختيار موضوعه في النقاط التالية :

١ - أن يكون موضوع البحث محددا وواضحا ، فيلتزم بفترة زمنية ، وكلما كانت محدودة كان ذلك أدعى لجدية البحث وجدته ، أو أن يكون في شخصية واحدة ، والأفضل أن يكون في جانب واحد من جوانب تفوقها وابداعها الفنى .

٢ – أن يكون الموضوع جديدا مبتكرا لم يطرقه – على الصورة التى حددها – أحد قبله ، أو كتبت فيه رسالة جامعية .

٣ – أن يتفق مع ميوله وامكاناته العلمية والادبية ، وأن يرتبط به نفسيا وتزداد هذه الرابطة وتتوثق كلما سار خطوة في البحث وقرأ من حوله .

٤ – أن يكون موضوعا يتوقع من بحثه اضافة جديد مبتكر ، وفي الوقت نفسه تتوفر المراجع والمصادر التى تعين على ذلك .

٥ – فوق ذلك كله يجب الثقة والاطمئنان على أن الجهد الذى سيبذل في ذلك الموضوع يتساوى مع الفائدة منه وما سيصل اليه من نتائج يفخر الباحث بنشرها وتقديمها للقراء .

٢ – بعد اختيار الموضوع يأتى تحديد مصادر البحث ومراجعه التى تنير له طريقه ومن أهمها :

دوائر المعارف العالمية ، كدائرة المعارف الاسلامية ، والرسائل الجامعية التى كتبت في الموضوع أو اقتربت منه ، والكتب التى تمد الباحث بمصادر البحوث الادبية كتاريخ الأدب العربى لبروكلمان وتراجم الادباء والشعراء ، الى جانب المجلات الادبية المتخصصة ، وكثير من كتب الأدب القديمة والحديثة والمطبوعة والمخطوطة ، وكتب النقد والدراسات الادبية وغيرها ، والكتب المعاونة كالمراجع التاريخية واللغوية والعلمية حتى يتمكن الباحث من التعرف على مصادر بحثه الأساسية ، وتمكنه هذه القراءة – في الوقت نفسه – من القدرة على التذوق الأدبى للنصوص ، وهذه القدرة بمثابة ملكة تنشأ من طول العكوف على القراءة في الشعر وآثار الادباء في القديم والحديث ، بحيث تصبح استجابة صاحبها لما يقرأ استجابة صادقة .

وهى أول خطوة في البحث الأدبى ، فلا بد أن تتكون لدى الباحث حاسة فنية تمكنه من أن يتذوق العمل الأدبى تذوقا سليما ، وذلك لا يتأتى الا بدوام النظر في الكتاب ، وبالقراءة وحدها دون سواها . والقراءة والرجوع الى المصـــادر وان لم يكونا من صلب البحث ، فانها عملية أساسية في السير في البحث ، وأساس من أهم أسســه التى لا يقوم للبحث كيان بدونها . ولذلك عرضت لهما هنا للحفاظ على التسلسل الطبيعى في فهم معنى البحث الأدبى .

٣ ـ ثم يأتى دور المنهج وهو عبـارة عن الخطـة التى يلتـزم الباحث بالسير على هديها في بحثه ، ومن المتعارف عليه أن المنهج يختلف باختلاف الموضـوع والباحث نفســه ، وباختلاف الظــروف المحيطة بالبحث نفســه وغير ذلك من المؤثرات ، وكلما كان المنهج واضحا وشـاملا كان البحث جيدا وذا قيمة علمية جليلة ، ولذلك فمن الأوفق أن يشارك الأستاذ المشرف صاحب البحث في وضـــع منهجه وأن يزوده بالنصائح في هذه الخطوة الأساســية من الدراســة حتى يستوفي المنهج موضوعات البحث وعناصره الأساســية التى تكفل لها النجاح والسير في طريق سليم .

ويمكن وضع تخطيط عام للمنهج على النحو التالى :

أ ـ تقديم البحث ، يحدد فيه الباحث أهمية بحثه وقيمــة الكتابة فيه وأسباب اختياره له ، ومدى اتصاله به وقراءاته من حوله ، وأهم مراجعه من مخطوطات ومطبوعات ، والجهد الذى بذله في البحث والدراسة .

ب ـ موضوع البحث أو صلبه ويشمل عددا من الأبواب والفصول فكل باب يتناول فكرة رئيسية أو مشـكلة عامة ، وكل فصـــل من فصوله يتناول جانبا من هذه الفكرة أو المشكلة .

ج - خاتمة البحث وتشمل كلمة من أهم ما عرض له الباحث والجديد فيه مما لم يطرقه الدارسون قبله .

د - فهرس بمصادر البحث ومراجعه .

هـ - فهرس لموضوعات البحث .

وقد يضيف الباحث بعض الفهارس الاخرى التى يرى أنها ضرورية لفهم عمله وتساعد على اظهار جوانبه مثل : فهرس الأعلام ، وفهرس آخر للأماكن والبلدان وثالث للحيوانات والطيور ، وغير ذلك مما تتطلبه طبيعة الأبحاث المتنوعة .

ويمكن للباحث الرجوع الى بعض الرسائل الجامعية التى قدمها الطلاب قبله الى الجامعات أو ما نشر منها ليتعرف على خطط هذه الرسائل ومناهجها ويختار من بينها ما يقترب من موضوعه من حيث الخطوط العريضة ، ويستفيد بذلك في تخطيط منهج بحثه .

٤ - أ - بعد اختيار وتنظيم خطة البحث يتجه الطالب الى القراءة واعداد البطاقات التى سيسجل فيها ما يجمعه من مادة أثناء قراءته ومن المهم في هذه الخطوة أن تتجه قراءتك الى ما يتصل ببحثك من الكتب والمراجع اتصالا وثيقا ، وهذه الكتب تعرف من عناوينها أو من قراءة فهارس موضوعاتها ، أو من التصفح السريع لأبوابها وفصولها .

ب - من الامور الهامة التى يجب أن يضعها الباحث نصب عينيه عند القراءة وتدوين بعض النصوص : أن المصدر المتقدم يلغى المصدر المتأخر ، ولا يصح الاكتفاء بالمصدر الثانى الا اذا كان الأول قد فقد أو لم يستطع العثور عليه ، وكذلك يجب عدم الاحالة

على المصـــادر المخطوطة وخاصة اذا كانت ملكا للأفراد ، مادام من الممكن الاحالة على مصدر مطبوع ، أو على اليوميات والمجلات التى تكون قد نشرت هذا المخطوط أو جزءا منه .

جـ - يأخذ الباحث بعد ذلك في تسجيل اقتباساته أثناء قراءته على بطاقة يراعى أن تدون الكتابة على وجه واحدمنها حتى يسهل استـــعمالها ، ويستحسن أن يضـــع عنوانا لكل اقتباس ليدل على ما ورد في البطاقة من معلومات ، وأن يكتب في أســـفل البطاقة اسم المصدر الذى استمدت منه مادته وكذلك رقم الصفحة والمطبعةالتى طبعتـــه وسنة نشره واسم المؤلف ، ولا يكتب في البطـــاقة سوى اقتباس واحد ، ويكون النقل حرفيا دون زيادة أو نقصان أو تعليق (ويمكن أن يعلق بما يريد بشرط أن يضعه بين قوسين) .وفي بعض الأحيان يلجأ الباحث الى اختصار النص لطوله أو يقوم بتلخيصه ، وفي هذه الحالة يجب أن يشير الى ذلك في البطاقة وفي الهامش عند الكتابة بقوله : راجع صـــفحة كذا من كتاب كذا لأن هـــذا معناه أن النص منقول بتصرف .

د - يعمل الباحث على تنظيم بطاقاته ، فيجمـــع البطاقات التى تتصل بموضوع واحد أو فكرة واحدة بعضها مع بعض ، حسب التبويب الذى أعده قبل ذلك . ومن الأوفق أن توضع - منذ البداية - البطاقات الخاصة بكل باب من أبواب البحث في غلاف خاص يكتب عليه عنوان الباب .

هـ - هنـــاك طريقة أخرى غير طريقة البطاقات وهى طريقـــة « الدوسيه » فيقوم الباحث بعمل « الدوسيه » ويقسمه أقســـاما : أوله للمقدمة وآخره للمراجع والمصادر ، وما بين هـــذين القسمين لأبواب البحث يقسمه بحسب الأبواب والفصول ، ويتميز الدوســـيه

عن غيره من الكراسات وما يشبهها بأنه يمكن اضافة أوراق في أى مكان فيه اذا ما دعت الحاجة الى ذلك ، الى جانب حفظه لكل الأوراق ، بينما يمكن أن تضيع بعض البطاقات ، بالاضافة الى سـهولة الرجوع الى أحد الموضوعات في الدوسيه اذا ما رأى الباحث مراجعته أو اضافة شيء اليه ، بينما يستغرق ذلك في البطاقات وقتا أكثر ،

٥ ـ بعد جمع المادة اللازمة يأتى دور الكتـابة ، وهى أهم المراحل في حيـاة البحث ، لأن جمع المـادة وتوزيعها في مجموعات حسب المنهج والخطة أمر يسير يستطيع كثير من الناس القيام به دون تفاوت يذكر فيما بينهم ٠

وكتابة الرسالة هى الخطوة التى يبرز فيها التفـاوت بين الكاتبين ، أو هى مرحلة شاقة وعسيرة ٠ اذ ليس كل ماقرأه الباحث ودونه مطلوب في بحثه ، وعليه أن يظهر مقدرته في تقدير المـادة التى جمعها ليتمكن من الاختيار منها ، وبذلك تبدأ عملية التصفية أو عملية الاختيار ، وهى تتوقف على مقدرة الباحث وسـلامة ذوقه حيث تتحكم في هـذا الاختيار بعض الأسـاسيات كطرافة المـادة وأهميتها بالنسبة للبحث ، ودقة المراجع الذى وجدت فيه ، ولذلك فمن واجب الباحث أن يقرأ ثانيا كل ما كتب ويفكر فيما احتـوته هذه البطاقات ، ويجب ن يلاحظ الترتيب الزمنى ملاحظة دقيقـة فيما للزمن دخل فيه ، وأن يكون لشخصية الباحث وجود واضح في مقارنة النصوص بعضها ببعض ، وان يضـع في اعتباره سـلامة ما أورده في بحثه من قضايا واتجاهات ، وأن تكون متفقة مع فكره ومعتقداته ، وأن يناقش ما لم تركن اليه نفسه ويعرض الرأى الذى يراه ، ولا يتردد في بيان عجزه عن الوصول الى غير ما وصل اليه في بعض الأمور اذا اعتقد أن ما أتى به غير كاف أو غير نهـائى ، وانه يرجو ـ في المستقبل ـ أن يتمكن من متابعة بحثه رجاء الوصول الى

الغاية المرجوة ، وإذا أراد ان يورد ادلة ليدعم بها رأيا ارتآه فعليه أن يبدأ بأبسط هذه الأدلة ثم يتبعه بآخر أقوى منه ••• وهكذا •••

وليحذر الطالب الاستطراد فانه آفة كثير من الرسائل والأبحاث العلمية – في وقتنا هذا – فكثير من الباحثين يضعون في اعتبارهم الكم قبل الكيف ، ولذلك يلجأ بعضهم الى اضافات ليست من صلب موضوعه حتى يتسع حجم الرسالة •

فاذا كان موضوعه مثلا دراسة موضوع نقدى عند شاعر من الشعراء ، فاننا نجده يمهد لذلك بدراسة المذاهب النقدية وحركة النقد قبل ذلك الشاعر • أو يكون موضوع البحث دراسة موضوع فنى عند شاعر من الشعراء مثل وصف المعارك الحربية عند أبى تمام ، فيمهد لذلك بدراسة العصر الذى عاش فيه الشاعر ويعرض للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وما الى ذلك مما يعتبر حشوا واقحاما على الموضوع الأصلى • ولذلك تنبه كثير من اعضاء اللجان الذين يناقشون الرسائل الجامعية الى هذا الاتجاه الخطير ، وأخذوا يتصدون لهذه الظاهرة غير الصحية في البحوث الأدبية ، وطالبوا الباحثين بالالتزام بالمنهجية في موضوعاتهم ، والبعد عن الحشو والاطالة التى لا فائدة منها ، وأن يضع الباحث ذلك نصب عينيه ، حتى لا يخل ذلك بمنهجه ويشوه عمله ، ان لم يفسده ، ويعرضه للرفض وعدم الاجازة •

(المصادر والمراجع)

جميع الباحثين والدارسين لا يستطيعون كتابة أبحاثهم ومؤلفاتهم الا بعد الرجوع الى مؤلفات ووثائق مختلفة في العديد من المعارف والثقافات لانها الأساس الذي يمده بمواد البحث الاولية وتضع أمامه الآراء والافكار المختلفة التى تتعلق بموضوعه ، ولذلك نجد جميع المؤلفات تهتم بعمل فهرس في آخرها بالمصادر والمراجع التى استعان بها الكاتب أو الأديب في استيفاء معلوماته وأفكاره للاعتراف بفضل هذه الكتب أولا ، ولتساعد القارىء في التثبت مما يقرأ والرجوع اليها اذا ما أراد الكتابة في مثل هذا الموضوع أو في جزئية من جزئياته .

وليست المصادر جميعا سواء في الأهمية ، فمنها ما هو شديد الصلة بالبحث لا تتكون أساسياته بدونه ، ومنها ما يأتى هامشيا اذ لا يفيد الا فوائد ثانوية . ولذلك استخدم بعض الباحثين اسم المصدر للأولى واسم المرجع للثانية .

ويرى بعض الدارسين أن كلمتى (مصدر ومرجع) تترادفان وتأتيان بمعنى واحد فكل منهما يتعلق بالبحث سواء أكان دراسات ووثائق قديمة أو حديثة مخطوطة أو مطبوعة . فيطلق أصحاب هذا الرأى المصدر او المرجع على كل ما يرجع اليه في كتابة البحث .

والواقع أن لكل منهما معنى ومدلولا مختلفا . فالمصدر يطلق على الآثار التى تضم نصوصا أدبية شعرا أو نثرا لكاتب واحد أو مجموعة من الكتاب ، لشاعر أو لطبقة من الشعراء ، أو لمجموعة من الكتاب والشعراء ، ووصلتنا هذه الآثار دون تعليق على النص أو تفسير له ، ودون تمهيد له أو تعقيب عليه . من هذه الآثار دواوين

الشعراء جميعها في القديم والحديث ؛ والمختـــارات الشـــعرية كالمفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب وحماسة أبى تمام ، ومختارات البارودى وغيرها • أو نثرية كمنهج البلاغة للامام على - كرم الله وجهه - وجمهرة خطب العرب ، ومختارات المنفلوطى ، وكتابات الأديب نفســه كمقالاته وخطبه المجموعة في كتاب • فهذه وغيرها مما نعرفه الآن باسم (النصوص) المروية أو المدونه عن صاحبها نســـمى مصـــادر أدبية أيا كان الوقت الذى دونت فيـــه أو المدون لها ، وترجع أصالة هذا النوع من المصـــادر الى أنه أقـــدم ما عرف عن الموضوع الذى سندرسه وأنه لم يدخله تحوير مع مرور الزمـن •

فهذه المصادر في غالب الأمر تظل في صورتها الأولى دون تحريف أو تعديل ويدخل في هـــذا النوع الذى نطلق عليه المصـــادر ما نشر في الصـــحف أو المجلات لأديب من الأدباء مثل مقالات طه حسـين التى نشرها في مجلة « الســـياسة » وجمعها في كتابه « حديث الأربعاء » ومقالات محمد حسين هيكل والعقـــاد والمازنى والرافعى والزيات ، ويوميات الاديب ومذكراته سواء نشرها أو احتفظ بها أو عثر عليها الباحثون الذين يدرسون هذه الشخصيات • كذلك يعتبر من المصادر ما حوته السجلات في الدواوين الحكومية عن شخصية من الشخصيات التى ندرسـها لأنها تطلعنا على جانب من جوانب هذه الشـــخصية كتدرج صاحبها في الوظائف الحكومية ، وما كان له من نشاطه وما وقع عليه من جزاءات وغير ذلك مما يعتبر أساسا في التعرف عـلى تلك الشخصية • وهذه الالوان وما يتجه وجهتها يمكن أن تطلق عليه المصادر الأصلية أو الأساسية •

وهناك نوع آخر من المصادر يمكن أن نسـميه المصادر الثانوية أو المساعدة ، وهى بالنسبة لدراسة الشعراء أو الادباء كل ما يساعد

على فهمهم وفهم أشعارهم أو كتاباتهم ، أو الاشـعار والكتابات المبثوثة في مظان غير أدبية مثل المعاجم وكتب التـاريخ ، وكتب النحو واللغة ، وكتب السير والتراجم الاسلامية ويدخل في ذلك شروح دواوين الشعـراء والكتابات التاريخية والاجتماعية والثقـافية التى تصور لنا روح العصر الذى عاش فيه هذا الشاعر أو ذلك الكاتب •

اما المرجع فهو ما يسـاعد على فهم النص الادبى وتوضـيحه وتفسـيره وتقويمه • فالمراجع هى ما كتب حـول النص أو الأديب الذى يراد دراسته • فمثلا الكتب التى تتصل بدراسـة الشـعر الجاهلى وقيمتها التاريخية لناصر الدين الأسـد ؛ وفي الأدب الجاهلى لطه حسين والعصر الجاهلى لشوقى ضيف وأمثالها ، تعد مراجـع بالنسبة لدراسة شاعر من شعراء العصر الجاهلى كامرىء القيس أو النابغة الذبيانى أو لبيد ، وكذلك الكتب الكثـيرة التى تدرس حياة القبائل العربية في الجاهلية أو تعرض للشئون الدينية وحياة الناس في المجتمع الجاهلى وثقافاتهم وعاداتهم ، ومنها أيضـا ما يكتب عن الشـاعر أو الأديب أو ما يلقى عنـه من محاضرات في المحافل أو المهرجانات •

وتكون المراجع أصلية اذا كانت قريبة من العصر الذى أنشىء فيه النص الأدبى أو عاش فيه الأديب أو الشاعر ، لأن مؤلفها أقدر على تفسير النص وفهم اشارته والتعرف على صاحبه ممن عاصروه أو رووا عنه أو تحدث اليه ، وقد تكون مراجع مساعدة اذا كانت أبحاثا حديثة تعين على تكوين فكرة أو تذليل صـعوبة أو تصـحيح خطأ دون أن تأخذ آراء مؤلف المرجع صـفة التسليم المطلق أو الحقيقـة المقـررة •

ويمكن أن نجد من الكتب والآثار الهامة ما يجمع بين الصفتين

لانها تضم نصوصا أدبية قام على شرحها واجلاء غوامضها علماء أفاضل ، وصوروا لنا المناخ الذى نمت فيه عملية الخلق الفنى ، تصويرا كاملا أو نافعا من بعض الوجوه ، ولذلك يفضل الدكتور شوقى ضيف أن نسمى ذلك الصنف من الكتب وغيره مما يسهم في التعرف على النص أو صاحبه مثل الكتابات التاريخية والاجتماعية والثقافية التى تصور لنا روح العصر الذى عاش فيه الشاعر أو الاديب ، يفضل أن يسميها جميعا مصادر وان كانت من المصادر الثانوية أو المساعدة (١) .

---

(١) راجع البحث الأدبى لشوقى ضيف ص ٢٣٧ دار المعارف بمصر ط ٢ .

(التراث وتوثيق النص الأدبي وتحقيقه)

أولا : توثيق النص الأدبى (١) :

١ ـ ما تزال أكثر ذخائر مخطوطات تراثنا الادبى مبعثرة في شتى أرجاء الارض ، وأكثر ما نشره الناشرون منه كان في طبعات تجارية رديئة غير محققة أو موثقة توثيقا علميا سليما ، يرفض المنهج العلمي الحديث اعتمادها أساسا للدراسة والبحث ، ولا يعتبرها من الوثائق التى يعتمد عليها • وكتب التراث في البحوث الأدبية يمكن التعرف عليها عن طريق فهارس المكتبات في البلاد العربية والاسلامية ومكتبات أوربة وأمريكا ، وعن طريق مجلات المخطوطات المتخصصة كمجلة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، و « المورد » وهى مجلة تراثية فصلية تصدر عن وزارة الاعلام العراقية ، أو الرجوع الى كتاب « تاريخ الأدب العربى » لكارل بركلمان (٢) •

٢ ـ وكلمة « التراث » تطلق على المخطوطات التى لم تطبع بعد في جميع مواد الثقافة العربية والاسلامية ، وبعض المتخصصين

---

(١) توثيق النص الأدبى معناه : التحقق من أصالة المخطوط وصحة نسبته الى مؤلفه واتصال سنده اليه •

(٢) نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار وآخرون ط دار المعارف بمصر طبعات متعددة آخرها الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧ فى ستة أجزاء • وهو مرجع هام لدراسى الأدب من أقدم عصوره الى العصر الحديث وقد سجل فيه مؤلفه كل ما طبع أو احتفظت به دور الكتب فى العالم من مخطوطات حتى نهاية العقد الرابع من القرن العشرين •

يطلقها على الكتب القديمة التى ألفت قبل العصر الحديث مخطوطة أو مطبوعة .

ونحن في هذا الحديث نريد الكتاب الأدبى سواء أكان مخطوطا لم يطبع بعد ، أم طبع طبعة غير محققة تحقيقا علميا وثيقا ، لنوضح طريقة توثيقه ثم تحقيقه حتى يخرج الى دائرة الضوء بين أيدى القراء والمثقفين .

٣ - وأول ما يجب الاهتمام به في توثيق النص أن نجمع نسخ الكتاب المخطوطة من المكتبات التى احتفظت بها وذلك بنقلها أو تصويرها ، ونضيف اليها ما طبع منها ان وجد ، ثم نأخذ في ترتيب هذه النسخ حسب القدم ، ويراعى دائما فحص طريقة سندها الى مؤلفها ، وتمييز الأصول منها ، وما هو منقول بخط أو طباعة ، ويكون من النفاسة بمكان أن يعثر المحقق على نسخة من الكتاب الذى يريد تحقيقه بخط المؤلف ، فانها تعتبر الشهادة الأكيدة على صحة الكتاب ، فهى شهادة لا يرقى اليها الشك ، وتزيل كل الشكوك من حولها . ويتلوها في المرتبة النسخة التى يكتبها بعض تلاميذ المؤلف عنه ، فاذا كتب عليها المؤلف بخط يده أن هذه النسخة كتبت سمحا أو عرضا أو اجازة أصبحت لا تقل ثقة عن نسخة المؤلف الأصلية ، وكذلك الشأن في النسخة المقابلة على أصل موثق ، وخاصة اذا كان الذى قابلها لا يقل عن مؤلفها علما وفضلا . ولا يكفى أن تحمل النسخة توقيع مصورها ، مؤلفا كان أو ناقلا عنه ، وتاريخ عصره ، اذ يحتمل أن يكون قد نقلت نسخا في عصر متأخر بكل ما عليها من توقيعات ، دون أن يثبت الناسخ أصلا نقل عنه . وهذا يقتضي فحص الخط وعرضه على النماذج الخطية التى صحت نسبتها الى عصرها ، سواء أكانت من مخطوطات التراث المحققة أم كشفت عنه البحوث الأثرية من مدونات الوثائق التاريخية ونقوش على النقود الأثرية أو غيرها من الآثار المادية .

ومما يزيد في توثيق النسخة والاطمئنان على سلامتها، مايذكر في مقدمتها أو في تضاعيفها من أسماء أشخاص عاصروا المؤلف . وكان أسلافنا كثيرا ما يهدون مصنفاتهم الى بعض الوزراء أو الشخصيات البارزة ويصرحون بذلك في قوائمها ، وقد ينوهون بهم دون تصريح بالاهداء .

اذا لم يمكن العثور على نسخة بخط المؤلف أو بخط أحد تلاميذه فاننا نلجأ الى النسخة المنسوبة الى أحد العلماء الثقات ونقابلها على النسخة الأخرى .

وكثيرا ما ترجع النسخ الى أصل واحد . وفي هذه الحالة يستغنى به عن هذه النسخ . فلنفرض أننا وجدنا عدة نسخ من كتاب ، ولاحظنا أن مجموعة منها ترجع الى نسخة واحدة والباقي منها يرجع الى نسخة ثانية ، فاننا نكتفي من هذه النسخ بالنسخة التي رجعت اليها المجموعة الأولى وبالنسخة الثانية التي رجعت اليها المجموعة الثانية ونستغني عن باقي النسخ الا أن تكون واحدة من هاتين النسختين قد نقص منها شيء فلا بد من الرجوع – في هذه الحالة – الى النسخ الفروع .

وليس معنى ذلك أننا لا نهتم بغير النسخ الموثقة ، فقد لا يكون لكتاب مهم في حياتنا الأدبية سوى نسخة متأخرة مليئة بالأخطاء ، ففي هذه الحالة ينبغي نشر هذه النسخة حتى يتيسر العثور على خير منها فيعيد الناشر تحقيق الكتاب مرة أخرى .

كما أنه مما ينبغي ملاحظته أن القدم وحده ليس كافيا لاعتماد النسخة وتقديمها في التحقيق ، فقد تكون حداثة النسخة من الدوافع التي تقدمها على النسخة القديمة ، وذلك اذا كانت النسخة الحديثة دقيقة الضبط مصححة لأنها نقلت عن أصل أكثر صحة ، في الوقت

الذى نجد النسخة القديمة كثيرة الاخطاء ، اذ يجب أن ننشر الكتاب في أصح صورة لقراءته التى روى عنها أو كتب بها في نسخ مختلفة ٠

٤ ـ وقد نجد بعض الأجزاء قد ضاعت من الأصـــل نتيجة قطع الورقة أو أكل القرضة والتخريم ،وقد يكون الضائع أوراقا بأكملها ، كما يحدث ـ في بعض الأحيـان ـ اضـطراب في ترتيب الأوراق ٠ وفي هذه الحالات يمكن التعرف على المحو من مخطوطات أخرى للكتاب ، أو من اقتباسات كبيرة منه كتبت في كتب تأخرت عنه ٠ كما يمكن رد الأوراق الى ترتيبها وصورتها الأصلية من السياق نفســـه ، أما اذا لم يكن للكتاب سوى نسخة واحدة ، فيمكن تلافي ما نقص نتيجة الخـرم من كتب تلت الكتــاب وحملت نفس الأوراق الضـــائعة أو السـاقطة ٠ أما اختلاف ترتيب الأوراق فقد يهدى فيه ترقيمها اذا كانت قد رقمت حين كتابتها أو ذيلت كما كان يفعل القدامى حيث يستعملون التذليل بديلا الأرقام ، فيثبتون تحت الكلمـة الأخيرة من كل صفحة الكلمة الاولى من الصفحة التالية دليـــلا على تعـاقب الصـفحات

٥ ـ وأخيرا فقد يظن البعض أنه ما دامت المخطوطة بخط المؤلف كانت بعيدة عن الأخطاء ، وكفى المحقق مشـــقة تقديم ما قد يكون فيها من تصحيف أو أخطاء ، وهذا ظن لا يستقيم مع الدقة والتثبت اللذين يجب أن يتسلح بهما المحقق اذ كثيرا ما يســـهو المؤلف أثناء كتابته وخاصة اذا كان عجلا فيحدث منه غلط في النقط أو الشكل أو تسقط منه بعض الكلمات ، يتضح ذلك في الشـــعر بصـفة خاصـة لارتبـاط الكاتب بموازين العروض ٠ كمـــا انه قد يخطىء في بعض أســماء المصادر والاعلام والاماكن ولذلك ينبغى أن يراقب المحقق نسخ الكتاب الذى ينشره حتى نسخة المؤلف نفســـها ولا يعفيه من ذلك الا اذا كان المؤلف قد كتب على هوامشها ما يدل عـــلى أنه صححها وراجعها وقوم ما بها من الاضطراب والتصحيف ٠

ثانيا : تحقيق النص الأدبي :

١ ـ بعد هذه العملية التى جمعنا فيها نسخ المخطوط ووثقنا نسبتها الى مؤلفها ، ورتبناها حسب أصالتها واتصال سندها بمؤلفها ، واستكملنا الساقط من الاصل عن طريق النسخ الأخرى أو الكتب التى نقلت عن بعض هذه الأصول • يأتى دور التحقيق للنص ، فيترجم المحقق للمؤلف ثم يوضح منهج تأليفه ، ثم يتحدث عن مصادره التى حشدت في ذلك الكتاب وأخذت عنها مادته ، ثم يتحدث عن قيمة هذا الكتاب ومدى ما أضافه الى البحوث الأدبية المتصلة به ، كما يبين مدى افادة الباحثين منه واضعا أمامهم من الاضواء ما يجعلهم ينتفعون به أكبر نفع ، ثم يصف نسخته أو النسخة التى اعتمد عليها في نشره وصفا دقيقا يتناول مادتها وكتابتها وأوراقها وما أصابها من تلف ، ووضعها بالنسبة لغيرها من النسخ الاخرى ، وما عليها من تعليقات أو حواش ، والمكان الذى وجدت فيه ، وصاحب الحق في امتلاكها وما الى ذلك مما يوضح كل جوانب المخطوطة • كما يوضح المحقق منهجه في تحقيق الكتاب وكيف تغلب على الصعاب التى اعترضت طريقه ، وأيضا يوضح المصادر والمراجع التى استعان بها في هذا التحقيق •

٢ ـ كما يتجه المحقق الى ألفاظ النص فيشرحها في سياقها ، وذلك بالرجوع الى معاجم اللغة ثم يترجم للأشخاص الذين ورد ذكرهم في النص وذلك بالرجوع الى كتب الطبقات وتراجم الاعلام مع تحرى الدقة في هذه الترجمة فقد يحدث أن يشترك اثنان أو أكثر في المشهور من أسمائهم أو ألقابهم أو كناهم او أنسابهم فينتج عن ذلك لبس في الأسماء مما يستدعى الحذر والحيطة حتى لا يترجم لشخص مكان آخر •

كما يتناول المحقق بالشرح والتوضيح أسماء الاماكن والبلدان والحيوانات وغيرها مما قد يتعرض له صاحب النص ٠

كما تحقق شواهد النص سواء أكانت الشواهد من القرآن الكريم أو من السنة النبوية ، وسواء أكانت شعرا أو نثرا وذلك بالرجوع الى مصادرها الأصلية ٠

٣ – ويجب ملاحظة التقيد بالتقسيمات التى وضعها المؤلف لكتابه ، وألا تدخل اليها عناوين جديدة الا عند الضرورة القصوى، وفي هذه الحالة يجب الاشارة اليها والتنبيه عليها في الهامش ٠

واذا كان في الأصل بياض نبه عليه المحقق في الهوامش ٠ كما يجب شكل الأشعار والألفاظ الغريبة والأمثال ٠ وقد اختلف العلماء في جواز ضبط المحقق للنص عند نشره ووضع الفواصل وعلامات الترقيم مما لم يضعه المؤلف ، فاعتبر البعض أن هذا تدخلا من المحقق في توجيه معانى النص وسياقه ، وتغييرا للنص عن حاله التى تركه عليها مؤلفه ٠ الا أن الذى أصبح متعارفا عليه هو اباحة الضبط والترقيم من حيث كان المحقق أدرى بالنص وصاحبه، وأولى بأن يضبطه فلا يدعه لغير ذوى الدراسة والخبرة وخاصة في الأشعار ٠ فان كتابا من كتب المختارات الشعرية أو ديوانا من الدواوين ينشر دون شكل وضبط لا يعد ذلك تحقيقا بأى وجه من الوجوه ٠

٤ – ومن النافع المفيد أن يلحق المحقق الكتاب أو الديوان الذى تناوله بالتحقيق بفهارس في آخره ، وهى تختلف من كتاب الى كتاب ٠ فبالنسبة لديوان الشعر يوضع فيه فهرس للقوافي مرتبة حسب روى الأبيات ، وفهرس للأعلام من الادباء وغيرهم ، وفهرس للقبائل ، وآخر للأماكن والبلدان، وفهرس المصادر المختلفة المذكورة

في الديوان ، وأخر للمراجع التى انتفع بها المحقق ، وأخيرا فهرس الموضوعات • والمدار في كل كتاب على ما تضمنه واحتواه •

٥ – ومن المعلوم – بداءة – أن توثيق النص وتحقيقه لا مجال فيه للرأى أو الاجتهاد الشخصي ، وانما يخضع ذلك للضوابط المنهجية التى لا يصح التهاون أو التجاوز فيها •

ومع ذلك فهناك جانب ذاتى يتأثر بشخصية الدارس وعقليته وثقافته وذوقه وهو الجانب الذى يقوم فيه الناشر بنقد النص وتوضيح جوانب الجودة أو التقصير فيه •

كذلك هناك جانب موضوعى يخضع لقواعد المنهج في استقراء خصائص النص ، واستيعاب أقوال الدارسين فيه ، وما سبقه من بحوث مشابهة أو مناظرة ، ومدى تأثر اللاحق بالسابق • وقد يقارن الباحث بين نصوص من دراسته ونصوص أخرى من غير بيئة النص موضوع الدراسة فيظواهرمتماثلة أو مشتركة يتبعها الدارس بالفحص والاستقراء •

وهنا يكون للمحقق رأيه الخاص واتجاهه الفردى فيفهم النص والحكم عليه ، ويجب عليه في مثل هـذه الحالات أن يتزود بالمعارف والاحكام والموازين النقـدية حتى لا تكون آراؤه واستنتاجاته بعيدة عن الذوق العام والرأى السليم فيكون ذلك مسوغا لمصادرة مناقشاته وأحكامه التى انتهى اليها •

٦ – ومن هنا نجد أن الاتجاه الى تحقيق كتاب من كتب التراث كتحقيق ديوان من الدواوين الشـعرية ، أو جمع المجاميع الشـعرية المتفردة أو كتب المختارات أو الشروح انما يعنى ذلك تتبع مصـادر

هذا الشاعر أو ذاك ، والتقاط الأخبار الخاصة به وتصحيح المصحف منه والمحرف من كلماته ، وشرح مفرداته مع دراسته لشعره وخصائصه وقيمته الفنية ٠ وهى عمل ليس هينا أو يسيرا ، بل هو عمل شاق مرهق اذ تمتد فيه صعاب لا تكاد تحصى ولكنها في الوقت نفسه تذوب أمام عزم الباحث الذى تأكد له أنه بعمله هذا انما يضيف ثروة أدبية زاخرة الى الفكر العربى ويوقفنا على نتاج خاص لشاعر معين أو ظاهرة محدودة أو مسألة أدبية من هذه المسائل كانت مطمورة ، وهى جزء من تراثنا الغالى الذى يوجب علينا اخراجه ونفض غبار الزمن عن وجهه الاصيل ٠

نهضة النثر الفنى في العصر الحديث

النثر – وهو أحد قسمى الأدب – قد بلغ من الركة والضعف والتخاذل في أواخر العصر العثمانى (٩٢٣ – ١٢١٣ هـ) الغاية التى لا غاية بعدها في سخف • فعباراته سقيمة مقيدة بقيود الصنعة اللفظية التى تخفى وراءها معنى غث مرذول ، وفكرة تافهة ضحلة أخذها الكاتب – غالبا – ممن سبقه ، بيد أنه ساقها لجهله وعجزه عن الأداء المستقيم في ذلك الثوب المهلهل الرث ، وملأ كلامه بالألفاظ العامية المبتذلة أو التركية الدخيلة ، فيأتى كلامه أشبه بالرموز والأحاجى •

ومن بقى لديه بعض التذوق الأدبى ، وكان على حظ يسير من اللغة نسج كلامه على أسلوب المقامة في أخريات العصر المملوكى (٦٥٧ – ٩٢٣ هـ) والتزم السجع في كل ما يصطنع من كتابة ، بل منهم من كان يتلاعب بالألفاظ ويأتى بالمقامات المحرفة والمصحفة مما لا يمت للأدب من قريب أو بعيد •

وبذلك تعطلت الحركة الأدبية بل تحجرت . وانحرفت اللغة العربية وفسدت فسادا عظيما ، وكان أغلب النتاج الأدبى في هذه الفترة يتجه الى المدائح النبوية والرسائل الإخوانية ، والمراثى الفاترة والمواعظ المباشرة ، وتسجيل بعض الأحداث في لغة سقيمة بعيدة عن أى صدق شعورى أو تعبير فنى •

ومن أدباء هذا العصر : محمد بن قانصوه ، ويوسف الحفناوى ، وعبد الله الادكاوى ، والشيخ حسن العطار ، ومحمد البكرى ، والبيتى ، وابن اياس وغيرهم •

٢ – فلما كانت طلائع البعث العربى الجديد مع نهاية القرن الثامن عشر . وبداية القرن التاسع عشر ، راح العرب يبحثون عن الوسيلة التى تدفع بالنشر الى التطور وبث روح الحياة فيه ، وكانت مصر قد أخذت تسير في طريق التطور بعد الحملة الفرنسية (١٧٩٨م – ١٨٠١ م) وكذلك لبنان الذى كان له اتصال مبكر بالثقافة الغربية فوجدوا أن عماد هذا البعث يعتمد على أساسين هامين :

اولهما : الاتصال القوى المستمر بالتراث العربى الاصيل ، والكشف عن ذخائره في مختلف العصور ، وابراز هذه الثقافة التى تتسم بالأصالة والعمق والغزارة الفكرية ، وكانت نواة هذا الاهتمام أن سعى كثير من المثقفين الى تأليف « جمعية المعارف » (١) سنة ١٨٦٨ م . وما لبثت هذه الجمعية أن نمت نموا سريعا وعنيت باحياء كثير من الكتب التاريخية والادبية ونشر طائفة من دواوين الشعر التى خلفها أدباء وشعراء العصور العربية الزاهرة ، وتبع ذلك انشاء المطابع والصحف والمكتبات وغير ذلك من الوسائل التى ساعدت على نشر التراث العربى القديم وتقديمه الى القارىء في صورة منظمة أسهمت اسهاما عظيما في انماء الوعى ولفت أنظار المثقفين الى ما في تراثهم وأدبهم من روائع .

ثانيهما : الاتصال المباشر بالحضارة الغربية التى اقتربت منهم منذ الحملة الفرنسية على مصر وارسال البعثات الى أوربة في عهد محمد على ومن بعده ، ثم عودة هؤلاء المبعوثين بعلوم جديدة وعقلية ناضجة ، فعملوا على انشاء المدارس وترجمة الكتب الأجنبية ، وبهذا وضعوا أساس الحركة الثقافية والادبية الحديثة ،

---

(١) نسبة الى مؤسسها محمد عارف باشا أحد أعضاء مجلس الأحكام في مصر .

كما بدءوا في تطوير اللغة بما ترجموا اليها من علوم حديثة ، وبما ابتدعوه من مصطلحات جديدة ، ثم ما عبروا عنه من أفكار وموضوعات متنوعة ، أكثرها يتصل بالحياة ، ويرتبط بموكب الثقافة الانسانية المتطورة ، وكان في مقدمة هؤلاء الرواد : رفاعة رافع الطهطاوى ، ويعتبر – بحق – أول الرواد الذين عبروا الطريق نحـو تطـور النثر الفنى وأرفدوه بكثير من عوامل الصـحة والقـوة ، اذ كان يتمتع بفطرة سليمة وميول أدبية قوية ورغبة شديدة في النفع العـام ، وشغف عظيم بالعلم والمعرفة • وبذلك أفاد من اقامته بباريس – عندما اختير اماما للبعثة المصرية التى أوفدها محمـد عـلى الى باريس – فائدة جليلة عاد نفعها الى الأمة العربية جمعـاء ، فقـد عمل على نقل الثقافة الغربية الى اللغة العربية منذ بدأ يجيد اللغة الفرنسية ، وهو بعد طالب بباريس ، ويبذل جهوده المضـنية لتذليل اللغـة العربية لمصطلحات العلم الحـديث ، بعـد أن ذهب رواؤها قرونا طويلة منذ عصر العباسيين ، وينظر الى ما حوله في المجتمع الفرنسي نظر المصـلح الناقد الذى لا تغلبه الحية الغربيـة بخيرها وشرها ، ولكن نظر من يريد نفع وطنه واقتباس المفيد له والمتلائم مع عاداته وتقاليده ومعتقداته ، ومن يريد التعرف عـلى أدواء وطنه والطريق السوى لعلاجها حتى يمضي قدما في درج الحضارة والـرقى •

وتلاحقت عوامل الازدهار الأدبى وفي مقـدمتها ظهـور المطبعة التى يسرت للتعليم أن ينتشر ، وأتاحت للثقافة أن تشيع ، والصحف المتنوعة من سياسية وحزبية وأدبية والتى أسهمت اسهاما فعالا في الحياة الأدبية ، وكانت بمثابة مدرسة للشعب ، تعلمه ، وتوجهه ، وتصـله بتيارات الفكر والثقافة في وطنـه وفي غيره من الأوطان ، وكانت تحمل أقلام الأدباء من أمثال : لطفى السـيد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، والعقاد ، والمازنى ، ومحمد تيمور وغيرهم •

ومع ظهور المنفلوطي في الميدان الأدبي ظهر اتجاهان واضحان في النثر :

الاول : اتجاه غذته الثقافة العربية بصورة أساسية ومن أعلامه : المنفلوطي والرافعي وعبد العزيز البشري وشكيب أرسلان، وأحمد حسن الزيات • وقد اهتم هؤلاء باللغة ورصانة الاداء، والدفاع عن أمجاد الماضي وتراثه وتقاليده الفنية السليمة ، كما تميزوا بالاتجاه الى تصوير أدواء المجتمع والآفات الخلقية ، وما أحدثته الموجات الوافدة من هزات في العادات والقيم والتقاليد محاولين الاصلاح والتقويم •

والثاني : اتجاه المتأثرين بالثقافة الغربية ، ومن أعلامه : أحمد أمين والعقاد وطه حسين وأمين الريحاني ومحمد حسين هيكل ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم وميخائيل نعيمة والمازني ، وعشرات غيرهم ممن اهتموا بعمق الفكرة وجدتها ، والميل الى التحليل والبسط ، والى السهولة في التعبير مع الدقة والقوة والافادة من الاسلوب الغربي في علاج الموضوعات وعرضها ، وفي استيحاء بعض الصور والأخيلة الغربية ومعالجة فنون جديدة كالقصة والمسرحية • وبذلك اتسعت فنون النثر في عصرنا الحديث وظهرت بينها ألوان جديدة من أهمها (المقال) ، و « القصة » ، و « المسرحية » فازدهر النثر ازدهارا عظيما حتى سبق الشعر وتصدر ميدان الادب واتسعت فنونه وظهرت ألوان جديدة لم تكن معروفة من قبل كالترجمة الذاتية واليوميات والمسرحية والقصة والمقال •

ويهمنا في هذا المقام أن نتناول فن (المقال) فنعرف به ونوضح اتجاهاته وملامحه الفنية •

المقـــال

١ – يرى كثير من الدارسين والباحثين أن (المقال) فن وليد في الادب العربى جاء مع النهضـة الحديثة ، وأن الأدب العربى القـديم لم يعرف هذا القالب الفنى في الكتابة النثرية ، وأن المقالة تتنـاول موضوعا محددا وتعرضه بصورة أشد تركيزا ، وهذا الموضوع يتصل بقضـية حية ؛ ويتجه فيه الحديث الى الجماعة ، ويخضـع آخر الأمر في أسلوبه لمقتضيات الصحافة التى نشأ معها هذا الفن . أما ما كان في الادب القديم من أمثال « الرسـالة » التى نراها في بعض كتابات علم مثل « الجاحظ » التى تتناول موضوعات محددة في صور مركزة فانها تشبه – الى حد كبير – شكل المقامة وان لم تكن هى تماما (١). وأرى أن المقال ليس غريبا عن الأدب العربى القـديم ، وان تغيرت شروطه الفنية في عصرنا الحـديث . فعبد الحميـد الكاتب حين تكلم عن الشطرنج أو الصيد أو الكتابة كان يكتب المقال الأدبى ذا الصورة المحددة والفكرة الوحدة ، والفصول التى أنشـأها الجاحظ في كتبه «البخلاء» ، و «المحاسن والاضداد» ، و «الحيوان» ، و «البيان والتبيين» اليوم ويخضعونها لمقاييس شروط المقالة الحديثة التى يدبجها كتاب اليوم ويخضعونها لمقاييس النقد الأجنبية . ولذلك تذهب الكاتبـة « نعمات فؤاد » الى مثل ما ذهبنا اليـه في دراسـتها لأدب المازنى حيث تعرف المقالة بأنها :(ليست دراسة ولكنها كلام ليس المقصود به التعمق والتركيز وهى في مدلولها الحديث ثرثرة بليغـة معينة يبدأ صاحبها ولا يعرف كيف ينتهى ، وأنها تقابل الفصل وهو جزء من

---

(١٠) راجع تطور الأدب الحديث فى مصر ص ٣٠ ط ٢ دار المعارف بمصر ، وأدب المقالة الصحفية للدكتور عبد اللطيف حمزة « الجزء الاول »

كتاب يقصره صاحبه على بحث وكأنه كتاب صغير كما فعل الجاحظ في الجزء الثالث من كتابه « البيان والتبيين » حيث ذكر مطاعن الشعوبية في العرب في شأن العصا وآلات الحرب ورده عليهم) (١) .

ويذهب الأستاذ العقاد في تحديد شروط المقالة الحديثة بأنها « لينبغى أن تكتب على نمط المناجاة والأسمار وأحاديث الفريق بين الكاتب وقرائه . وأن يكون فيها لون من ألوان الثرثرة والافضاء بالتجارب الخاصة والأذواق الشخصية » (٢) وهذا ما نجده في الكتابات المشار اليها سابقا وما عرف في الأدب القديم باسم (الرسائل) .

ولا أقصد بها الرسائل الاخوانية أو الديوانية وما الى ذلك ، وانما أعنى بها الرسائل التى كانت تدور حول موضوع يختارد الكاتب من جوانب المجتمع المختلفة في عهودهم ، وخص هذا الموضوع برسالة تعالجه في بسط وسعة ، وأعطى الرأى فيه معتمدا على تجاربه الذاتية ، وخبرته في الحياة ، وقد تكون الرسالة عدة صفحات وقد تطول فتقترب من كتاب صغير ، مثل رسائل ابن المقفع والجاحظ ابن شهيد الاندلسي وغيرهم من كتاب العرب القدامى .

ثم ان المقال في بداية نشأته في العصر الحديث لم يكتمل مقوماته الفنية وتتوفر فيه كل شروط المقال ، ولكنه كان في أول أمره ساذجا قريبا في أسلوبه من الكتابة في عصور الضعف بلغتها المصنوعة المتكلفة ، وكان يجول في آفاق محدودة ضيقة كالوطنيات والاجتماعيات ، ومع ذلك لم نتردد في اطلاق كلمة (المقال) على هذا

---

(١) أدب المازنى ص ١١٨ مطبعة دار الهنا ١٩٥٤ .
(٢) كتاب فرنسيس باكون للعقاد ص ٨٢ .

النوع من الكتابة مثل كتابة رفاعة الطهطاوى ، وعبد الله فكرى ، وعلى مبارك ، وبلا ريب فان كتابات الجاحظ وابن المقفع كانت أنقى أسلوبا وأقوى ألفاظا ، وتناولت موضوعات أكثر اتساعا من هذه المقالات التى ظهرت فى بداية العصر الحديث ، فلماذا التردد فى اعتبارها مقالا ؟ وفوق ذلك فمن الواجب أن نقيس كل أدب بمقاييس عصره وأن نحكم عليه بظروف بيئته ، وأن لا ننتقل به الى عصر آخر نستمد منه مقاييس نحكمها فيه ونخضعه لها ٠

واذا كان تاريخ المقالة الحديثة متصل اتصالا وثيقـا بتاريخ الصحافة ونشأتها فى الشرق الأوسط ، وكانت الصحف ميدان المقالات فى هذه الأيام بمختلف أغراضها واتجاهاتها وبالتـالى قـد فرضت عليها شروطا وقيدتها بقيود عديدة ، فان العصور السابقة لم تعرف الصحافة بذلك الشكل الواسع المنظم الدقيق الذى تتسم به فى هذه الفترة ، وكان الخطباء والأدباء هم مقالاتها السيارة التى تعبر عن رأيها ، وتعرض حجتها ، بل لعلهم كانوا صحافتها التى تجمع عدة فنون كتابية ٠

٢ ـ فاذا رجعنا الى المقال لنقف على تعريفه ، فاننا نجـد فى القاموس المحيط (١) القول : الكلام أو كل لفظ مذل به اللسان تاما أو ناقصا : جمعه أقوال وجمع الجمع أقاويل ، أو القول فى الخير ، والقال والقيل والقالة فى الشر ٠ أو القول مصدر ، والقيل والقال اسمان له ٠ أو قال قولا وقيلا وقولة ومقالة ومقالا فيهما ٠

وجاء فى « لسان العرب » (٢) « قال يقول قولا وقيـلا وقـولة

---

(١) الجزء الرابع مادة (ق و ل) ٠
(٢) الجزء ١٤ ٠

ومقالا ومقالة . ويتضح من التعريفين السابقين أن المقال والمقالة بمعنى واحد » .

وفي العصر الحديث نجد كلمة « مقالة » ترجمت من الانجليزية وتعنى الوصف لتجربة مرت بصاحبها ولذلك نجد دائرة المعارف البريطانية تعرف المقالة الادبية : « بأنها : قطعة مؤلفة الطول ، وتكون عادة منثورة في أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد، وتعالج موضوعا من الموضوعات ولكنها تعالجه ـ على وجه الخصوص ـ من ناحية تأثر الكاتب به » (١) .

ويرى الدكتور عبد اللطيف حمزة أن المقالة « تتناول موضوعا أكثر تحديدا وتعرضه بصورة أشد تركيزا ، هذا الموضوع يتصل بقضية حية ويتجه فيه الحديث الى الجماعة ويخضع آخر الأمر في أسلوبه لمقتضيات الصحافة التى نشأ معها هذا الفن » (٢) .

ويمكن أن نعرف المقال في كلمات موجزة بأنه قالب نثرى يعالج موضوعا ما ، يعرض كاتبه فيه لرأى أو يرسم صورة أو يقرر فكرة أو نحو ذلك . بذلك تتسع موضوعات المقال فيدور الكاتب به حيث يشاء في اطار الكون أو الانسان أو المجتمع بما له من أبعاد وجوانب مختلفة .

٣ ـ أما من حيث بناء المقال ، فاننا نجد المقال ـ أيضا ـ يخضع لشخصية الكاتب وثقافته ، فقد يواجه الكاتب موضوعه مباشرة ، وقد يقدم له بتمهيد مرتبط به ، ويهيىء القارىء لتقبله ويثير مشاعره ... ثم يعرض الكاتب لموضوعه بعد ذلك التمهيد ،

---

(١) محاضرات عن فن المقالة الادبية للدكتور محمد عوض .
(٢) أدب المقالة الصحفية جزء ١ .

والكتاب يتفننون في هذا العرض لأن المقال ما هو الا عرض لدقائق الأحاسيس والخواطر ، وكلما كان الكاتب موفور الحظ والثقافة جاءت مقالاته محكمة النسج ، شائقة العرض ، قويمة التفكير • كما يختلف الكتاب في طريقة تناولهم للموضوع وان كان – في الغالب – ينتهي المقال بخاتمة تركز الهدف منه ، ليكون آخر ما يستقر في ذهن القارئ • ومع هذا كله ، فلا بد للمقال – أيا كان موضوعه وطريقة عرضه – أن يتميز بما يلي :

أ – تناول الموضوع من وجهة النظر الشخصية للكاتب : حيث أن هذه السمة من أخص صفات المقال التي تميزه عن سائر ضروب الكتابة النثرية •

ب – الايجاز لأن المقال لا يستوفي الحقائق جميعها أو يحشد المعلومات الضافية ، وانما يختار كاتبه جوانب من الموضوع الذي يطرقه ، ويعرضها للبحث والنظر ، ويسلط عليها أضواء فكره ، ويلونها بلون شخصيته ، وهو في هذا العرض يكشف عن مدى قدرته الفنية ، لأن عليه أن يتحرى اظهار النواحي التي تثير الاهتمام بموضوعه ، ويغفل التفصيلات والتفريعات ، ولا يستلزم هذا البراعة وحسن التأني في اختيار الموضوعات فحسب ، بل يستلزم كذلك القدرة على انتقاء المواد المناسبة وانماء الفكرة وتحديد الهدف •

جـ – التصميم الجيد للمقال : كمراعاة الانسجام بين الفكرة وأسلوب الاداء وترابط الأفكار وتسلسلها وبعدها عن التفكك والتناقض واختيار اللفظ الملائم الذي لا يبعد الكاتب عن الهدف المنشود •

د – الامتاع والعرض الشائق الذي يشد القارئ ويؤثر فيه وذلك لا يتأتى الا باقتران الموهبة بالممارسة والتجربة ، والامتاع هو

الغاية الاساسية للمقال فاذا انحرف المقال عن هذا الهدف الرئيسي أصبح غايته اعطاء درس في الاخلاق أو عظات دينية وما الى ذلك مما هو بعيد عن خصائص المقال ·

هـ ـ مراعاة أحوال القراء الاجتماعية الثقافية وما يتوفر لديهم من وقت ، فتفاوت المستويات الثقافية ومعايير القيم أمر يجب أن يضعه الكاتب نصب عينيه وهو يكتب مقاله ، بالاضافة الى أن من القراء من يقرءون المقال وهم في احدى وسائل المواصلات في طريقهم الى أعمالهم أو قضاء مصالحهم ، ومنهم من يقرؤه بعد عودته من عمله متعبا مرهقا ·

٤ ـ ازدهار فن المقال وتطوره :

أ ـ كان للمنفلوطى (١٨٧٦ ـ ١٩٢٤ م) أثر واضح في النهوض بالمقال وبلورة اتجاهه وطريقته الفنية · ولذلك يعتبر المنفلوطى بطريقته في الكتابة صاحب اتجاه فنى يعرف به · وتتلخص طريقته في البعد عن التكلف والتقليد ، والقصد الى الصدق والاهتمام بحسن الصياغة وجمال الايقاع ورعاية الجانب العاطفى ثم الميل الى السهولة والترسل ، وترك التعقيد والبعد عن المحسنات اللفظية فيما عدا بعض السجع المطبوع الذى يسهم في اظهار موسيقى الصياغة · وقد تناول المنفلوطى في كتاباته موضوعات العصر من سياسية واجتماعية واصلاحية وثقافية ، وأسهم بهذه الموضوعات في النضال الوطنى والقومى الذى كان متأججا منذ بداية هذا القرن ·

وأهم ما يمثل طريقة المنفلوطى مقالاته في الأدب والاجتماع والأخلاق التى نشرها تباعا في صحيفة المؤيد ثم جمعت في ثلاثة مجلدات باسم (النظرات) وقد شاعت هذه الطريقة بين المتأدبين شيوعا عظيما ، وتعلق بها كثير من الأدباء في هذا العصر ، وان أخذ

عليها الأستاذ المازنى الاهتمام الزائد بالأسلوب والمبالغة في اصطناع الزينة ، واثارة العاطفة والميل الى حشد الألفاظ المترادفة والعبارات والكلمات الممكنة أو المؤكدة دون حاجة الى ذلك تقتضيها (١). ومع هذه الملاحظات على طريقة المنفلوطى فقد كانت مقالاته أول نماذج فنية للمقالة في العصر الحديث .

ومن نماذج ذلك حديثه عن الأتقياء في مقال بعنـــوان : « خداع العنـــاوين » :

« لولا خداع العناوين ما سمينا صالحا تقيا كل من حرك سبحته وأطال لحيته ، ووسع جبته ، وكور عمامته ، ولقد نعلم أن وراء هذا كتابا أسود الصفحات كثير الســـقطات ، وأن تحت هذا الســـتار الحريرى الرقيق نفسا سوداء مظلمة لا ينفذ اليها شعاع من أشـــعة الرحمة ، ولا تهب عليها نسمة من نسمات الاحسان .

لن يؤمن المؤمن حتى يبذل في سبيل الله ، أو في ســـبيل الجماعة من ذات نفسه أو ذات يده ، ما يشـــق على مثله الجود بمثله ، أما الجو بالشفاء للهمهمة ولأنامل للمسبحة » فهل لا يتكلف صـــاحبه له أكثر مما يتكلف لتقليب ناظريه وتحـريك هدبيه ، وهـل خلقت الشفاة الا للتحريك والأنامل للتقليب ؟

ان للايمان مواقف يمتحن الله فيها عباده ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فان بذل الضـــنين بماله ماله في مواقف الرحمـــة والشفقة ، والشحيح بنفسه في سبيل الذود عن حوضه ، والدب عن عشيرته وذويه ، وضعيف العزيمة ما يملك من قوة وأيد في مغالبـــة

---

(١) راجع الديوان لمؤلفيه العقاد والمازنى . موضـــوع « أســـلوب المنفلوطى » ط ٣ دار الشعب ص ١٠٣ وما بعدها .

شهوات نفسه ومقاومة نزواتها ، فذلك المؤمن الذى لا يشوب ايمانه رياء ولا دهان ، ولا يخالط يقينه خداع ولا كذب ، أولا فأهون بهمهمته ومسواكه ومسبحته ، وهو بعنوان المنافق الكاذب ، أجدر منه بعنوان التقى الصالح • « أحسب الناس أن يتركوا أن يقــولوا آمنا وهم لا يفتنــون » (١) •

والمنفلوطى في هــذه لفقرة من مقاله يعنى بموضوعه عنــاية عظيمة ، ويحــاول أن يؤديه أداء فنيا يتميز فيه اللفظ ذا الوقــع الخاص الذى يؤثر في سمع القارىء ووجدانه ، ومع ذلك لا يتجه الى المحسنات اللفظية أو السجع الذى كان طريقة شــائعة قبله ، بل يعنى عناية فائقة بموســيقى ألفاظه ، وكأن النــاس لا يقرءونه بأبصارهم في الصحف ، بل يقرءونه ويسمعونه بآذانهم • كما يلح على المعنى لابرازه بالمترادفات أو الالفاظ المتقاربة المعانى ، كما ترى عنده كثرة الفواصل بين العبارات ، وهــذه بعض خصائص أسلوبه ومقاله بصفة عامة •

(ب) وكان هناك اتجاه آخر أو طريقة أخرى للمقال أصــحابها ممن تثقفوا بالثقافات الغربية من المفتونين بالحضــارة الأوربية والمؤمنين بها أشد الايمان ، وقد اهتم أصحاب هذا الاتجاه بالجانب الفكرى ، فمالوا الى الموضــوعية واصــطناع المنطق ، وجنحوا الى الوضوح والدقة والترسل الكامل • هذا الى تحميل الكلام شحنة من الثقافة والفكر الغربى • وفي مقدمة هؤلاء لطفى السيد وطه حسين والعقــاد والمازنى •

ومع الاتصــال الوثيق بالثقافة الغربية والفكر الأوربى ، وشيوع

---

(١) النظرات ٢/٧٠ •

الصحافة وتنوعها ، أصبح النثر يتصدر ميدان الادب والثقافة ، وتصدر أدباء من المثقف بثقافة غربية ومن المتصلين بآداب الغرب المحافل الادبية واستتبع ذلك بالتالى تصدر النثر الذى يعمل في ميدانه هؤلاء الادباء ، ودخلت المقالة عصرها الذهبى ، واصبحت الصحافة المنتشرة في أنحاء الوطن العربى تعتمد عليها اعتماداً كاملا ، واهتمت كل صحيفة باستكتاب اللامعين من حملة الاقلام لكسب عدد أوفر من القراء ، وأصبحت المقالة هى الوسيلة التى يخاطب بها الأدباء قراءهم عن طريق المجلات والصحف ، وأصبح المقال يمثل الأساس في ثقافتنا وحياتنا الادبية والفكرية ، وانطلق الأدباء الى مجالات شتى من الادب والتاريخ والسياسة والاجتماع والحضارة والفن والديانات والمعتقدات والفلسفة يكتبون فيها ، وتطالعنا بها الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية ، ومن مشاهير كتاب المقال في هذه الفترة : أحمد بهاء الدين ، حسين فوزى ، توفيق الحكيم ، مصطفى محمود ، بنت الشاطىء ، ثروت أباظة ، عبد الحميد الكاتب ، محمد عبد المنعم خفاجى ، عبدالرحمن الشرقاوى ، وعشرات غيرهم .

(جـ) ومن يرجع الى الصحافة منذ بداية هذا القرن يجد بين صفحاتها العديد من المقالات التى حرصت على أن تحتل مكانا بارزا فيها ، والكثير من مشهورى الكتاب ، ومن أمثلة ذلك : السياسة والمؤيد والبلاغ وكوكب الشرق والمقتطف والعصور والمجلة الجديدة والهلال والاهرام وأبولو والرسالة . وقد جد الكتاب بتزويد هذه الجرائد والمجلات الثقافية والادبية بخلاصة فكرهم وتجاربهم ، وبذلك نجد أن كثيرا من الكتب الجديدة التى نتداولها اليوم لكبار الكتاب ونراهم يعتزون بها ويذكرونها في مقدمة آثارهم انما كانت حصيلة تلك المقالات التى نشروها في الصحف أولا على هيئة مقالات يومية أو أسبوعية . ومن ذلك حديث الأربعاء « لطه حسين » في ثلاثة

أجزاء وهى مقالات نشر معظمها في السياسة الأسبوعية ، وبعضها نشر في الجهـاد وغيرها ، وقد طبـع حتى الآن عشر طبعـات ، و « مطالعات في الكتب والحياة » لعباس محمود العقاد حصيلة مقالات نشر معظمها في البلاغ ، و « ساعات بين الكتب » للعقاد ـ أيضا ـ وهى مجموعة مقالات نشرت في البلاغ الأسبوعى وغيرها من الصحف والمجلات التى كان العقاد يتعاون معها في ذلك الحين ،

وكذلك كان كتاب « حصاد الهشيم »للمازنى مقـالات منـوعة نشرها أولا في الصحف السيارة وخاصة « الاخبار » ، وأيضا كتـاب « في أوقات الفراغ » لمحمد حسين هيكل مجموعة المقالات التى نشر معظمها في السياسة ، وغير ذلك من الكتب التى خرجت الينا كانت في نشأتها مقالات نشرت سابقا في الصحف السيـارة مما يدل على ازدهار المقال ونشاط الكتابة نتيجة التنافس الشـديد بين المجلات الناطقـة بلسـان الثقافة والأدب الى جانب الصراعات السياسية التى أسهمت اسهاما عظيما في تنشيط المقال بألوانه المختلفة ،

٥ ـ أنواع المقال :

(أ) اذا كان موضوع المقال يتسع فيشـمل الحياة جميعها ، أو كمـا يقـول أحمـد أمين : « كل شيء في الحياة صـالح لأن يكون موضوعا : من الذرة الحقيرة الى الشمس الكبيرة ، ومن الرذيلة الى الفضيلة ، ومن كوخ الفلاح الى قصر الملك ، ومن الماضي الى الحاضر الى المسـتقبل ، ومن أقبح قبيح الى أجمل جميل ، ومن الحياة الى الموت ، ومن الزهرة الناضرة الى الزهرة الذابلة ومن كل شيء الى كل شيء (١) » ، اذا كان الامر كذلك ، فان المقال يتنوع تنوعا عظيما

(١) فيض الخاطر لأحمد أمين جزء ١ ،

باعتبار موضوعه فيكون منه المقال السياسي والاجتماعي والفني والعلمي ، والادبي والتاريخي والتعبيري ، والصحفي وغير ذلك ·
ولكننا نستطيع أن نقول : ان ألوانا معينة من المقال قد ازدهرت في العصر الحديث أهمها المقال الادبي ، وهو الذي يدرس شخصية أو ظاهرة أو اتجاها أو أثرا من الاتجاهات والآثار الأدبية · ثم المقالة النقدية ، وهي التي تحدد قيمة أو تشرح مبدأ من مبادىء النقد القديم أو الحديث ، أو تطبق هذه المبادىء أو بعضها على عمل شعري أو نص أدبي · والمقالة التاريخية التي تعرض لعصر مضي أو ثورة سلفت ، أو لبطل أو شخصية ذات تأثير في الحياة العامة أو الخاصة ، وذلك بلغة الأدب وطريقة الناثرين ، لا بلغة التاريخ وأسلوب المؤرخين · والمقالة الفلسفية التي تعرف ببعض أرباب الفلسفة ، أو تشرح بعض نظرياتهم وأفكارهم بلغة الادب وأسلوب الادباء · والمقالة التعبيرية وهي التي يكون موضوعها انطباع الكاتب أو شعوره ازاء مشهد من مشاهد الحياة أو الطبيعة ، أو حدث معين ، أو موقف خاص · والمقالة الاجتماعية وهي ما تدور حول موضوع يتصل بالمجتمع من سياسة واقتصاد وتعليم ، وثقافة ولغة وما الى ذلك مما يتناوله الأدباء لا كتخصصين في هذه الاتجاهات ، وانما كمثقفين لهم مشاركتهم فيما يدور حولهم ، ولهم آراؤهم فيما يتصل بمجتمعهم ·

(ب) ويجب ان يراعى في كتابة المقال وسيلة النشر ، حيث يكون لها أثر واضح في توجيه المقال ، لأن ما ينشر في الصحف يجب أن يمتاز بالسهولة والوضوح بحيث يكون معناه في ظاهر لفظه ، لأن الصحف تخاطب الجماهير ، ويقرؤها الخاصة والعامة ، وقراؤها يبغونها للساعة ، فلا محل للارتفاع بعباراتها أو التعمق في معانيها ، وعلى الأخص اذا كان موضوع المقال سياسيا أو اجتماعيا او تاريخيا · اما المقال الادبي فانه يعتمد على الفخامة اللفظية والجرس الموسيقي والتأنق في النظم حتى يخرج الكلام حلو النبرة في الآذان ،

لطيف الوقع في النفوس • والمقال الادبى اقرب الألوان النثرية الى الشـــعر ، ولذلك يقتضي التأنق في اللفظ ، وجودة الســـبك ومعرفة بأسرار اللغة ، ووفرة محصول من المفردات وخبرة بالكلام الجيد ، واستظهار لكثير من المنظوم والمنثور • هذا الى طبيعة مواتية وحس مرهف ، وذوق رقيق ، وفطنة الى مواطن الجمال الفنى • الا أن ذلك كله يختلف باختلاف وسيلة النشر ، فما ينشر في كتاب أو مجلة أدبية يلح الكاتب فيه على هذه النواحى الجمالية أكثر مما لو كان المقـال ســـينشر في جريدة يومية يقرؤها عامة الناس ، والتى يغلب على ما ينشر فيها البساطة واليسر ، والحرص على جذب انتباه القارىء بمختلف الأســاليب •

(ج) وقد اشتهر كثير من الكتاب – في عصرنا الحالى – باجادة فن المقال الصحفى والمقال الادبى ، وأثبتوا تفوقا عظيما بمقالاتهم السياسية والثقافية من أمثال : العقاد والمازنى خلال الحمـلة التى شنوها على خصـومهم السياسيين كشوقى والمنفلوطى وغيرهما • ومثل : محمد حسين هيكل الذى امتازت مقالاته الصـــحفية بالفقه القانونى ، والتأثر بالمذاهب السياسية والاجتماعية الحديثة •وكذلك طه حسين الذى كانت مقالاته الصحفية بمثابة اطلالة واضحة على الأدب العربى القديم والتاريخ الاسلامى •

ومن كتاب المقـــالة الادبية الخالصـــة : الأديبـــة مى زيادة ، وميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران ، وعبد العزيز البشرى • كما كان للمقال الصحفى أعلامه المبرزين فيه مثل : أحمد حافظ الذى كان يمزج مقالاته بالفكاهة المرحة والســـخرية اللاذعة • ومحمود عزمى الذى كانت تظهر ثقافته الاقتصادية واحاطته بتيارات السياســة الغربية من خلال مقالاته الصـــحفية • والصـــحفى عبد القادر حمزة الذى كان من أقدر الكتاب على الدفاع عن آرائه السياسية •

الشــــعر

١ ـ مفهـــومه :

ـ الشــعر عند العرب ديوان أمجادهم ، وسـجل مفاخرهم ·

« فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها ، على ضرب من الضروب ، وشكل من الأشكال ، وكانت العرب تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشـعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديونها » (١) ·

وبذلك لم يكن الشعر في العصر الجاهلى ترفا لا يتعاطاه الا قلة من الناس ، بل كان الوسيلة الوحيدة للتعبير عن وجدان العربى ، وترجمانا لأهواء قبيلته وميولها ، ولهذا حظى الشاعر والشعر بأعلى مكانة في المجتمع ، « وانما بلغ الشعر هذه الدرجة من الاهمية والخطر لان المجتمع العربى كان يضع الشاعر في مكانة ما بعدها مكانة ، فكانت وظيفته في القبيلة من أخطر وظائف الزعماء والقيادة ، وهو وضـع قد قضت به ظروف البيئة ودفعت اليه حاجة القبيلة الى قيادة معنوية ، تبث في أبنائها روح البسالة والحمية واباء الضيم » (٢) ·

ومصادر الأدب والشعر حوت الكثير من الأدلة على خطر الشعر في البيئة الجاهلية ، ونحن نكتفى بهذا المثال كنموذج لبيان أهمية الشعر في تفكير العـربى · يقـول أبو عبيدة : « كان الرجل من أنف الناقة اذا قيل له ممن الرجل ·· قال من بنى قريع · فما هـو الا أن قال الحطيئـــة :

---

(١) الحيوان ١/٧١ ـ ٧٢

(٢) قيم جديدة للأدب العربى ص ٣٢

قــوم هم الأنف والاذناب غـــيرهم
ومن يســـوى بأنف النـاقة الذنبـا

فصار الرجل منهم اذا قيل له : ممن أنت ٠٠ قال من بنى أنف النـــاقة » (١) ٠

اذن فما هو هذا الشعر الذى كان له على النفوس وقع السحر والســـيف معا ؟

اذا ما رجعنا الى اللغويين فاننا نجد الشـــعر عندهم : « العلم بالشيء والتفطن له وادراكه ، وقالوا : ان كل علم يدعى شـــعرا ، ولكنه غلب على المنظوم لشرفه بالوزن والقافية » (٢) ولكننا نجد قدامة بن جعفر أول عالم يضع تعريفا محددا للشعر فيقول : « انه قول موزون مقفى يدل على معنى » (٣) ٠

بهذا يكون قدامة قد حصر عناصر الشـــعر في أربعة : اللفظ والمعنى والوزن والقافية ٠ فاذا ما أردنا أن نعرف مفهوم الشعر بعد قدامة ، فاننا نجد تعريف قدامة يظل في بيئة الأدب والنقد حينا حتى اذا كان ابن خلدون وجدناه لا يرتضي تعريف من سبقوه للشـــعر ، فيقول : « الشعر هو الكلام البليغ ، المبنى على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروى مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وما بعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به » (٤) وبالموازنة بين هـــذا التعـريف وتعـريف قدامة نرى أن

(١) البيان والتبيين ٣٨/٤
(٢) القاموس المحيط مادة (شعر)
(٣) نقد الشعر ص ١٥
(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٥

ابن خلدون قد حاول أن يبرز الخصائص الأساسية للشعر أكثر مما فعل قدامة ، فالشعر عنده ليس قولا ، ولكنه قول بليغ ، والمعنى الذى أطلقه قدامة قد خصه ابن خلدون بأنه مبنى على الخيال والأوصاف ، كما خصه بأن يكون جاريا على أساليب العرب ، ومع هذا فان الفنون تقاس بمقدار ما اجتمع لها من أسباب الحسن ، وبمدى قدرتها على التأثير في نفوس الناس ، والشعر جماله في قدرته على اثارة انفعال قارئه ، وليست القافية والوزن كل شيء في الشعر ، وبهذا يظهر قصور كل من التعريفين فهما الى تعريف النظم أقرب ، ولكننا نجد تعريفا أدق وأشمل منهما عند القاضي الجرجانى الذى يرى أن « الشعر فن يشترك في تكوينه واجادته أمور أربعة هى : الطبع ، والذكاء ، والرواية ، والدربة (التجربة) ، ويقصد بالرواية الذخيرة اللغوية التى يحتاج اليها الشاعر فيعرف الكلمات التى تصور خواطره تصويرا واضحا عن طريق رواية الشعر وحفظه . ويرى القاضي الجرجانى أنه باختلاف حظوظ الشعراء من هذه العناصر الأربعة يكون اختلافهم قوة وضعفا وجودة ورداءة » . وواضح من هذا التعريف أن القاضي الجرجانى ذكر الأمور التى اذا اجتمعت لدى الأديب استطاع أن يتقن فنه وأن يخرج عملا أدبيا رفيعا يستوى في ذلك الشعر والنثر (١) . ووجدناه يتفق مع ما ذكره المحدثون من أن عناصر الأدب الأربعة هى : « العاطفة ، والمعانى ، الخيال ، والاسلوب » (٢) .

---

(١) راجع فى هذا قدامة بن جعفر والنقد الأدبى لبدوى طبانة ص ١٤٦ وما بعدها ، البناء الفنى للقصيدة العربية ص ٧ وما بعدها ، الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى ص ١٦٥ وما بعدها ، أصول النقد الأدبى لأحمد الشايب ص ٢٩٥ ، وما بعدها ، مقاييس نقدية لقدامة بن جعفر لحسن الكبير (مخطوط) ص ١٥ وما بعدها .

(٢) النقد الأدبى لاحمد أمين ١/٦٠ وما بعدها

فلو حددنا المراد من كلمة « أدب » هنا بالشعر لوجدنا أنفسنا مطالبين باضافة الوزن والقافية الى التعريف حتى لا يشترك معه النثر الذى هو نصف كلمة (الأدب) ، ونكون بذلك متفقين مع جمهور الأدب وعلمائه – قدامى ومحدثين – ممن يرون ضرورة جمهور الأدب وعلمائه – قدامى ومحدثين • وقد أكدت هذا لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب في القاهرة فقالت : « ان الشعر الذى ليس موزونا ولا مقفى ليس بشعر » (١) ثم نصل من هذا الى تعريف موجز للشعر أو كما يقول المناطقة : « جامع مانع » وهو : « الكلام الموزون المقفى الذى يصور العاطفة » (٢) •

ـ فاذا انتقلنا الى أرسطو لنتعرف على مفهوم الشعر عنده لوجدناه يرى أن دوافع الشعر تنحصر في نوعين اثنين ، فالشعر يبدأ اما شعرا حماسيا أو شعر هجاء ، ومن الحماسي (شعر الملاحم) تنشأ المأساة ، ومن الهجائى تنشأ الملهاة • فهو ينحصر في (المحاكاة) أى تمثيل أفعال الناس ما بين خيرة وشريرة ، بحيث تكون مرتبة الأجزاء على نحو يعطيها طابع الاحتمال في تولد بعضها من بعض •

والشعر الحق عند أرسطو يتجلى في المأساة والملحمة والملهاة • والمحاكاة لا الوزن هى التى تفرق ما بين الشعر والنثر (٣) • فأرسطو لا يقيم وزنا للشعر الغنائى ، ويخص الشعر بالشعر الموضوعى الذى يتخذ القضايا العامة موضوعا له ، كما أنه يرى المحاكاة هى

---

(١) البناء الفنى للقصيدة العربية ص ٥ ، الاهرام عدد ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٦١

(٢) أصول النقد الأدبى أحمد الشايب ص ٢٩٨

(٣) النقد الأدبى الحديث ص ٤٩

التى تفرق بين النثر والنظم • وكما هو معروف ـ فان الشعر العربى كله غنائى • فاذن لا مجال للموازنة بين تعريف أرسطو للشعر وما تعارف عليه العرب لاختلاف الاتجاه عند كل منهما • ولكننا نجد عند الانجليز بعض تعاريف شاملة لعناصر الشعر كلها مثل تعريف « ستدمان » Stadmon الذى يتناول الصورة والمادة للشعر فيقول : « الشعر هو اللغة الخيالية الموزونة التى تعبر عن المعنى الجيد والذوق والفكرة والعاطفة وعن سر الروح البشرية » (١) • وذلك بعد أن تخلى الغربيون في العصر الحديث عن الشعر الملحمى والمسرحى وحصروا أشعارهم في الشعر الغنائى • وبذلك نرى تقاربا واضحا بين ادراك العرب لمفهوم الشعر ـ كما أوضحنا ـ وبين ما عرفه به « ستدمان » الانجليزى •

على أن « الكلمات التى يسمى بها الشعر في اللغات الأوربية الحديثة مأخوذة كلها من الكلمة اليونانية القديمة :« Poetica » وهذه الكلمة الاخيرة مشتقة بدورها من الفعل اليونانى : « Poiein » ومعناها « يعمل » أو « يصنع » أو « يخلق » وعلى هذا الأساس يكون معنى « الشعر » الاشتقاقى عندهم الخلق أو الابداع » (٢) •

واذا بحثنا عن المعنى الاشتقاقى لكلمة « شعر » في لغتنا العربية لوجدنا أن شعر به : علم وفطن له عقله (٣) « فالشعر من الشعور أى أنه هو ما أشعرك كما كان يقول الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى واخوته من رواد التجديد في شعرنا العربى المعاصر ،

---

(١) أصول النقد الأدبى للشايب ص ٢٩٧
(٢) فن الشعر لمندور ص ٢٣ ، ٢٤
(٣) القاموس المحيط مادة (شعر)

اذ نلاحظ أن دعوتهم تلك لم تكن الا رجوعا الى المعنى الاشتقاقي للفظة (شـعر) في لغتنا العربية • وان يكن الواضح أن اتصالهم بالشعر الغربي الغنائي هو الذى ردهم الى هذا المعنى الاشتقاقى الخالد » (١) وقد روى الجاحظ أن عمر بن الخطاب قال : « خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته » (٢) • - فالشعر في رأى العرب - كما هو في رأى اليونان - صناعة (٣) قبل كل شيء •

٢ - الشعر عند اليونان :

ينال الشعر اليونانى اهتمام الباحثين والدارسين ، ويضعه الكثيرون من النقاد والمؤرخين في الدرجة العليا من الفن الأدبى العالمى ، بل ويرجعون كل ما عرفت الانسانية في قديمها وحديثها من فنون الى ما توارثته عن اليونان (٤) • فقد ميز الأوربيون في مجال الشعر - منذ الاغريق القدماء - ثلاثة فنون كبيرة لكل منها خصائصه وأهدافه الواضحة هى : شعر الملاحم ، والشعر التمثيلى ، والشعر الغنائى ، ولعل هذا هو السبب في ربط الآداب العالمية بهذا الأدب ، واخضاع الفن الشعرى لهذه الأجناس التى ظهرت - منذ القدم في الشعر اليونانى •

---

(١) فن الشعر ص ٢٦ ، ٢٧ لمندور
(٢) البيان والتبيين ٢/١٠١
(٣) راجع الفن ومذاهبه فى الشعر ص ١٤ لشوقى ضيف ط ٧
(٤) راجع فن الشعر ص ١٠٩ لمندور المكتبة الثقافية (١٢) ، حديث الاربعاء ٢/١٣

فاذا ما رجعنا الى الادب اليونانى نستجلى معالمه ، ونتعرف على أهم اتجاهاته ، وعلى الاخص في مجال الشعر فاننا نجد أن أقدم وثيقة يمكن أن يعتد بها في من الادب اليونانى القديم هى « الالياذة » (١) « الأوديسا » (٢) المنسوبتان لهوميروس (٣) .

ولا مجال هنا للتعرض لشخصية « هوميروس » وهل هى حقيقة أم أسطورية وعلى فرض وجودها هل قام بتأليف هاتين الطويلتين أم جمع عددا من القصائد التى تناولت « حرب طروادة » وألف بينها وقسمها الى مجموعتين أم أن هوميروس لم ينظم سوى « الالياذة » ونسبت اليه « الأوديسا » خطأ ، أم أنه لم يكن سوى منشد احترف الانشاد ثم استطاع بخبرته وذكائه أن يجمع هذه الأشعار وينسبها الى نفسه (٤) ، ولكن المهم أن نتعف على منهج هاتين القصيدتين وأساليبهما ، وما أوجده اليونانيون من فنون شعرية . فمن حيث عدد أبياتهما وموضوعهما فان الالياذة تتكون من (١٥٦٩٣) بيتا موزعة على أربعة وعشرين نشيدا يصور فيها هوميروس حوادث الاسابيع الأخيرة من حرب طروادة (٥) ، وقد جعلت الالياذة بعض أبطال هذه الحرب من البشر وبعضهم من الآلهة وأنصاف الآلهة وجعلت لهؤلاء أدوارا ذات أهمية كبيرة في سير الحرب واتجاهها .

---

(١) كان تاليف أقدم قطعة من هذه القصيدة على أحسن الأقوال فى القرن العاشر قبل الميلاد ، ومن المعروف أن نشأة الأمة اليونانية أقدم من هذا التاريخ بعدة قرون .

(٢) وتلى الالياذة فى تاريخ نظمها وتترتب أحداثها على أحداث الالياذة .

(٣) عاش فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد .

(٤) فن الشعر ص ٨ .

(٥) مملكة طروادة كانت تمتد من القسم الجنوبى الغربى بآسيا الصغرى الى مضيق الكردنيل وقد استمرت هذه الحرب عشر سنوات كاملة

وكذلك الأوديسا من أكثر من اثنى عشر ألف بيت (١٢٢٢١) يقسمها كثير من النقاد الى أربع وعشرين نشيدا مثل الالياذة ، وصورت الأحداث التى تعرض لها اليونانيون أثنــاء عودتهم من طروادة نتيجة غضب بعض الآلهة عليهم • والقارىء لهاتين المطولتين يرى أنهما وصــفتا المعارك الحربية والمغامرات البحـرية فى حرب طروادة كما صورتا معتقدات الشعب اليونانى فى ماضيه القديم • وقد انتشرتا بفضل هوميروس الذى « أخذ يجوب بلاد اليونان ومعه قيثارته أو ربابته منشدا على نغماته تلك الأشعار الرائعة بما فيها من سحر البساطة ونضرة الجمال الذى يشبه جمال الطفولة » (١) • « ولما كانت اللغة اليونانية عندئذ موحدة المستوى ولم تكن هناك لغة عامية ولغة فصحى ، كما كانت أوزان الشــعر وأصوله موحدة فان هذا الشعر لم يعتبر شعبيا بالنسبة الى غيره من الشعر الثابت النسبة لشــعراء معينين ، بل على العكس اعتبر التراث الادبى الأول عنـد اليـونان حتى رأينا شـعراء التمثيليات يعترفون بأن مسرحياتهم ما هى الا فتات تساقط من مائدة هوميروس » (٢) •

أما عن خصائصهما الفنية فيلاحظ عليهما : الحرص على جمال الأسلوب وحسن العبارة وســمو الخيال والتأثير فى الوجدان أكثر من القصد الى تقرير الحقائق وسرد حوادث التاريخ فكانتا بذلك نماذج شعرية بليغة أكثر منها قصصا وتاريخا ؛ وان كان الواضح فى أسلوب الالياذة أنه أقوى وأرصن من أسلوب الأوديسا فى بعض مواقفها (١) •

---

(١) فن الشعر ص ٩
(٢) السابق والصفحة
(١) راجع فى هذا الأدب اليونانى القديم ص ٧٣ ، ٨٤ ، النقد الادبى عند اليونان ص ١٤ وما بعدها ، ص ٨٦ ، وهو ميروس شـــاعر الالياذة والأوديسا ص ١٣ وما بعدها ، والملحمة فى الشعر العربى ص ١٠ •

وأنهما تتناولان بطولات معارك في الماضي السحيق جعل منهما الخيال الشعبي والرواية الشفوية ما يشبه الأساطير وخوارق الأمور ، وأنهما يمثلان الطفولة العقلية والسذاجة في القول والتصوير فلا استقصاء لوصف ، ولا تحليلا لنفس أو لموقف ، مما نجده في الفنون الرفيعة الآن . « بل يقذف هوميروس تلقائيا بصفة أو يلون صورا عابرة ومع ذلك يوحى بأسمى خصائص الجمال وأقوى عناصر التأثير »(١) . فهيلانة مثال الجمال اليونانى والتى كانت السبب الرئيسي في حرب طروادة لا يصفها هوميروس الا بصفة واحدة تتكرر مع هذا الاسم كلما جرى في شعره « ذات الحزام العميق » ، و « أندروماك » التى سبت الرجال بجمالها تتكرر معها صفتها الملازمة « ذات الذراع البيضاء » .

من هذا كله نرى أن هاتين القصيدتين لم تكونا أول عمل أدبى للعقلية اليونانية وانما سبقته أعمال أخرى تساير طفولة العقلية اليونانية ولكنها ضاعت ، وأن قصيدتى الالياذة والأوديسا تمثلان النتائج الادبية الراقية للعقلية اليونانية التى اجتازت مرحلة الطفولة العقلية . كما يمكن أن نحدد مدلول « الملحمة » وهى قصيدة طويلة تبلغ آلاف الأبيات تفسح للخيال مجالا واسعا لتحكى بطولات ومعارك قديمة هى اشبه بالأساطير في بساطة من القول والتصوير .

وليس معنى هذا أن الشعر الحماسي المتمثل في الالياذة والاوديسا كان النوع الوحيد في الشعر اليونانى بل انه طغى على ما عداه من الفنون والالوان الأخرى نتيجة شغف العامة والخاصة بها دفع بالشعراء الى تجويده وتنقيحه ولكن كان هناك ــ بل أسبق منه في النشأة ــ نوع آخر كما تروى الأساطير هو الشعر الذى يعبر عن

---

(١) فن الشعر ص ١٢

خوالج النفس وآمالها وآلامها ، ويشرح تجارب النفس وعواطفها مما يسمى بالشعر الغنائى ولكنه سار بخطى وئيدة في سبيل الارتقاء نتيجة الاهتمام الزائد بشعر الملاحم سواء من جانب الشعب ، أو من جانب المنشدين الذين بذلوا كل جهد في استظهار قصائده واجادة القائها ، أو من ناحية الشعراء الذين وجهوا كل جهدهم الى تنقيحه وتجويده حتى بلغوا به مكانة الصدارة بين الفنون الاخرى (١) ٠

وبتقدم الزمن وتطور العقلية اليونانية نجد أن الاهتمام الذى كان موجها الى الشعر الحماسي يوجه الى هذا الشعر الوجدانى فاذا به يسيطر على الحياة الفنية اليونانية ويستأثر بأكبر قسط من النشاط الادبى ٠ حتى يمكن أن يقال اذا كان الشعر الحماسي قد سيطر على الحياة اليونانية فترة تمتد من القرن الحادى عشر قبل الميلاد الى القرن الثامن قبل الميلاد فان الشعر الغنائى قد نال نفس المكانة خلال ثلاثة قرون أخرى من القرن الثامن قبل الميلاد الى القرن الخامس قبل الميلاد ٠

ومما يلاحظ على الشعر الغنائى أنه كان أنواعا متمايزة ٠ منها ما كان ينشد بمصاحبة المزمار ومنها ما كان ينشد بمصاحبة الموسيقى وتغلب عليه الفكاهة والمرح ، ومنها ما كان يتغنى به في أعياد الآلهة خاصة اله الخمر « ديونيسوس » ومنها ما كان على شكل مقطوعات عن الحب وما يصحبه من هجر ولقاء ٠٠٠ الخ ، ومنها ما كان ينشد في الحفلات التى تقام الاحتفال بالفائزين في المباريات الرياضية ، ومنها ما كان يتخذ للتطرب والتخفف من عناء المجهود المبذول أثناء مزاولة الأعمال الزراعية وغيرها ، ويمتاز هذا النوع من

---

(١) راجع فى هذا : الأدب اليونانى القديم ص ٦١ وما بعدها ص٦٠٤ وما بعدها ، النقد الادبى عند اليونان ص ٢٢ ٠

الشعر بأنه مؤلف في أوزان خاصة بقصد التغني به ، وأن الموضوعات التي تدور جميعها حول الأمور المتصلة بالوجدان والعاطفة (١) .

وبجانب سيطرة شعر الوجدان والعاطفة على الحياة اليونانية خلال تلك الفترة كانت هناك أنواع أخرى من الشعر حاول منشئوها أن يقلدوا بها الالياذة والأوديسا وان اتجهوا بشعرهم اتجاها آخر يخالف اتجاه هوميروس في مطولته ، اذ اتجهوا به الى التعليم وارساء مبادىء الأخلاق والفضيلة والاهتمام بالحقائق ومسائل الفنون والصناعة ، وعرف هذا بالشعر التعليمي ، ومن أشهر شعرائه « هزيود » الذي عاش بعد هوميروس بزمن قليل (٢) واستطاع أن يخلق من الشعر التعليمي فنا بلغ به حد الكمال ، ومن أشهر قصائده في هذا المجال « قصيدة الأعمال والأيام » ويحمل فيها حملات عنيفة على الملوك والأمراء والحكام الذين يصفهم بالجشع والرشوة ، ويتحدث فيها عن العمل وعن العدالة ، وعن الزراعة والحقول ، وما يتصل بها من أعمال ، ويقدم نصائح عملية وارشادات للفلاحين تنفعهم في حياتهم الخاصة والعامة (٣) . فكانت مرجعا لتعليم أصول الأخلاق وحقائق الفنون الزراعية . ولما كان الهدف من هذا اللون تعليميا فان جمال الاسلوب واحكام الصياغة لم يكونا الهدف الأصلي كما هو الحال في الشعر الحماسي .

ومن قصائد الشعر التعليمي التاريخي قصيدة « الثيوجونيا » أو « أنساب الآلهة » المنسوبة الى « هزيود » والتي تعتبر أقدم

(١) راجع في هذا : « النقد الأدبي عند اليونان ص ١٣ ، ٢٠ وما بعدها ، الأدب اليوناني القديم ص ١٠٣ وما بعدها ،

(٢) أقرب الآراء أن « هزيود » نشأ في عصر لاحق للعصر الذي نشأ فيه هوميروس وأنه عاش حوالي القرن الثامن قبل الميلاد .

(٣) النقد الأدبي عند اليونان ص ٢٠ ط ١

مؤلف تاريخى في عقائد اليونان حيث تعرض لتاريخ الآلهة فتوضح نشأتهم وأنسابهم وأصولهم وتترجم لكل منهم ٠

وبالرجوع الى قصيدتى « الاعمال والأيام » و « أنساب الآلهة لا نلاحظ عليهما ما يلى :

١ – لما كان هدفهما تعليمى فان جمال الأسلوب واحكام الصياغة لم يكونا الهدف الأصلى كما هو الحال في الشعر الحماسي ٠

٢ – ان « هزيود » نظم قصيدة « الأعمال والأيام » بسبب الخلاف الذى نشب بينه وبين أخيه في تقسيم ضيعتهما ، وبسبب الحكم الجائر الذى صدر لصالح أخيه من الحكام الامراء في هذا النزاع وما ترتب عليهما ٠

٣ – نجد القصيدة مقسمة الى ثلاثة اقسام : القسم الأول ويشمل ٣٨٠ بيتا وفيه يوجه الشاعر نصائح وعظات بصدد العدالة والظلم القناعة والجشع ويضرب الامثال بالحقائق التاريخية والسماوية والأرضية ٠

والقسم الثانى يشمل نحو ٣٨٠ بيتا ويدور حول أعمال الحقل٠ أما القسم الثالث فيشمل سبعين بيتا وهو عبارة عن تقويم فلكى قسم فيه أيام الشهر الى أيام سعادة وأيام نحس ، وطبقا لعقائد دينية كانت منتشرة في عصره ٠

٤ – من هذا التقسيم يمكننا أن نتبين أن قصيدة « الاعمال والأيام » ليست متماسكة الأجزاء ولا يجمعها موضوع واحد ولا تربط بينها أية رابطة ولذلك نؤكد أنها ثلاثة قصائد نظمت في أوقات مختلفة وفي مناسبات متباعدة بل وفي عصور متباينة ٠

٥ ـ أما قصيدة « أنســاب الآلهة » فتتألف من نحو ألف بيت وبالرغم من أنهـا في مجمـوعها تظهر تماسكة الاجزاء مترتبة الحوادث فقد دخلها شيء غير يسير من النقص والزيادة والتحريف والتغيير شأنها في ذلك شأن غيرها من مخلفات هذا العصر ٠

٦ ـ اختلف الباحثون حول مؤلفها هل هو « هزيود » أم شخص آخر ، والقارئ لمقدمتها يرجح أن مؤلفها شخص آخـر متأخر عن عصر هزيود (١) ٠

وقد عبد اليونانيون عددا كبيرا من الآلهة وارتبطوا بها ارتباطا قويا فكانوا في أدبهم يصدرون عن معتقداتهم الدينية التى تجـرى في عروقهم ٠ وكانوا يقومون بالاحتفالات الدينية العديدة من أجل آلهتهم التى تمثل في نظرهم القوى الطبيعيـة التى تؤثر في الكون والحياة ، وسجل الشعر اليونانى أساطير الآلهة وما كان لها من أثر كبير في حياة الشعب اليونانى ، وأصبحت عقائد وأناشيد يتغنى بها في الحفلات والأعياد ، فقــد تعود اليونانيون أن يقيمـوا للاله « ديونيسوس » اله الخمر والنماء حفلين في كل عام أحدهما في أوائل الشتاء بعد جنى العنب وعصر الخمور ، ويغلب عليـه المرح ٠ ومن هــذا النوع نشـأت الملهاة (الكوميديا) ، والثانى في أوائل الربيع حيث تجف الكروم وتضن الطبيعة بخيراتها ، وهو حفل حزين نشأت منه المأساة (التراجيديا) ٠ ثم اكتسبت هــذه الأناشيد طابعـا مسرحيا بالتدريج ، فقد كانت في بداية نشأتها تعتمد على الجـوقة (الفرقة) التى تقـوم بالغناء ويمثل واحد معها ٠ يقول هيرودوت ان : « أريون (ARION) كان أول من ابتكر هذه الأناشـيد عام ٦٥٠ ق٠م ، وعلمها أفـراد الجـوقة ٠٠ فكان أول من خلق من هذه

---

(١) راجع في هذا : الأدب اليونانى القـديم ص ٩٤ وما بعـدها ، النقد الأدبي عند اليونان ص ٢٠ وما بعدها ٠

الاناشيد البدائية فنا أدبيا »(١) حتى كان الشاعر (أسخليوس ٥٢٦ – ٤٥٦ ق٠م٠) الذى سار بالمسرحية خطوة اخرى الى الامام فقد زاد عدد الممثلين من واحد الى اثنين (٢) وقلل من أهميـــة الجـوقة وجعل الاهميــة الاولى للحـوار في أول مسرحيـــة شـــعرية له هي « الضارعات » سنة ٤٩٠ ق٠م٠ ، وبذلك وجدنا تطورا آخر في العقلية اليونانية خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ٠

ومنذ القرن الرابع انتهت عصـور الانتاج الأدبى الحقيقى عند اليونان وذلك بغزو المقدونيين للبلاد وتحطيمهم لاستقلالها ٠

وبالنظر الى الفن التمثيلى عند اليونان يتضح لنا ما يلى :

١ – أن هذا الفن كان يعيش مع الشعر الوجدانى فترة ازدهاره ولكنه كان بدائيا وقليل الاهتمام به من جانب الشعراء وغيرهم ٠

٢ – أن نشأته تطورت عن الشـــعر الغنائى وخاصـة شـــعر الهجـــاء والمديح ٠

٣ – كان التمثيل في بدايتـــه يعتمـــد في مادته على الخرافات القصيرة واللغة الهازلة ، ولا يعدو بعض الرقص والأناشيد الجماعية ، ثم تطور بعد ذلك من حيث مستوى اللغة والجمع بين الغناء والتمثيل وألوان الحوادث المختلفة في القصة ٠

---

(١) دراسات فى المسرحية اليونانية للدكتور محمد صقر خفـــاجة ص ١٥ ، راجع النقد الأدبى عند اليونان ص ١٣ ٠

(٢) راجع فى هذا المسرحية للاستاذ عمر الدسوقى ط ٤ ص ٧ وما بعدها ، الأدب اليونانى القديم ص ١٣٥ وما بعدها ، الادب المقارن ط ٣ ص ١٦١ ، النقد الأدبى عند اليونان ص ١٢ وما بعدها ٠

هـذه هى أهم ألوان الشـعر التى وجدت فى المجتمع اليونانى نتيجة عوامل عديدة وظروف متغايرة • يقول الدكتور طه حسين :

« أنظر الى الأمة اليونانية مثلا والى الشعر تجد أن تطورها لم يستتبع تطور الشعر فى لفظه ومعناه فحسب ، وانما استتبع تطوره فى نوعه أيضا فكان الشعر القصصي مظهر الشعور اليونانى أيام بداوة الأمة اليونانية وبدء تحضرها ، فلما عظم حظها من الحضارة المادية ، وأخذ عقلها فى التفكير ، وذاقت لذة الترف والثروة ، كان الشعر الغنائى مظهر شـعورها ، فلما قوى من نصيبها من الحضارة وتأسست فيها المدن المختلفة ذات النظم السياسية والاجتماعية المعقدة وأخذت الفلسفة تظهر وتبسط سلطانها كان الشعر التمثيلى مظهـر شـعورها » (١) •

ولعل هذا هو السر فى اهتمام الدارسين بها الأدب ، وإقبالهم عليه وإصرارهم الدائم علـى اخضاع الآداب العالمية لهـذا الأدب والمقارنة بينه وبينها ، واتهام كل أدب لا يتفق مع الأدب اليونانى فى فنونه وأغراضه بالقصور والتخاذل • ولذلك نجد أسماء الأجناس الشعرية ، والمذاهب الأدبية التى نتعارف عليها الآن مسـتعارة من الأدب اليونانى القـديم ، والأدب الأوربى الحديث الذى احتـذى الأدب اليونانى وسار فى ركابه منذ القرن الخامس عشر الميلادى •

٣ ـ الشعر عند العرب :

تراثنا العربى فى الشعر من أغنى مواريث الأمم الخـالدة ، وهو ذخيرة فنية تعتز بها • وتتمثل فى هذه الدواوين التى خلفها شعراء الجاهلية ، والتى تختلف قلة وكثرة ، وفى الأشعار المبثوثة فى أمهات

---

(١) حديث الأربعاء ٢/٦ ط ١٠ دار المعارف بمصر •

كتب التاريخ والأدب التفسير والبلاغة ، وفي هذه المجموعات الشعرية التي اختارت قصائد معدودة لبعض الشعراء أو أبياتا من قصائدهم. ومع هذه الوفرة من الشعر الذي وصل الينا فانه لا يمثل الا جزءا قليلا مما قالته العرب لضياع أكثره . قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » (١) .

١ ـ أما عن أولية الشعر فقد كثرت الآراء حول هذا الموضوع وتكاد كلها تتفق على أنه لا يمكن تحديد وقت معين لبداية الشعر العربي لأن الشعر لازم نشأة الانسان العربي ، ولكن تباشير هذا الشعر طويت في ثنايا الزمن وألقت السنون المتعاقبة بيننا وبينها ستورا كثيفة حجبتها عنا (٢) . يقول بروكلمان : « كان شعر العرب فنا مستوفيا لأسباب النضج والكمال منذ ظهر العرب على صفحة التاريخ ، ولا تستطيع رواية مأثورة أن تقدم لنا خبرا صحيحا عن أولية الشعر » (٣) .

كما أنه لا يعقل « أن نتصور الأدب المعاصر نبتا شيطانيا بلا جذور ضاربة في أعماق الزمن ، الا اذا تصورنا أن انسان العصر

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٣

(٢) راجع فى هذا : الحياة العربية من الشعر الجاهلى ص ١٧٤ ، ومقدمة القصيدة العربية فى الشعر الجاهلى ص ١٦ وتاريخ الأدب الجاهلى ١٣٤/١ للأستاذ على الجندى ، وتاريخ الآداب العربية ص ٦٥ ، القيان والغناء فى العصر الجاهلى ص ١٨٢ ، العصر الجاهلى لشوقى ضيف ط ٥ ص ١٨٣ ، الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى ص ١٥٨ .

(٣) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ـ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ٤٤/١

لا يمت بأدنى صلة الى الانسان الفطرى الأول في عصور ما قبل التاريخ » (١) ويمكن أن نقول ان هناك تقاربا في الرأى بين النقاد والادباء على تحديد بداية تقريبية للشعر الجاهلى في صورته الفنية الكاملة التكوين والبناء مما نجده بين أيدينا،اذ جعلوها تبدأ في نهاية القرن الخامس الميلادى وأوائل القرن السادس ، وان اختلفوا في تحديد هذه المدة • فمن قائل انها قبل الاسلام بمائتى عام ، ومن قائل انها قبله بمائة وخمسين عاما ، ومن قائل بأنها قبل الاسلام بمائة وثلاثين عاما • بل ذكر آخرون أنها مائة عام قبل الاسلام فقط (٢) • فاذا حاولنا أن نترجم الأعداد الى أسماء فاننا نجد بعض المؤرخين كالجاحظ قد جعل بداية الشعر في عصر امرىء القيس ومهلهل بن ربيعة ، وبعضهم قال ان الأفوه الاودى هو أول من قصد القصيد ، بل ذكرت أسماء أخرى كعبيد بن الأبرص ، وعمرو بن قميئة ، والمرقش الاكبر وغيرهم وذلك نتيجة لما كانت عليه القبائل من ادعاء كل واحدة منها لشاعرها بأنه الأول (٣) •

فاذا علمنا أن المؤرخين والباحثين لم يتفقوا على بداية ونهاية لحياة هؤلاء الشعراء ولم يتفقوا على من هو الشاعر الاول الذى كان بداية لهذه النهضة الفنية لاستطعنا أن نلتمس العذر لهم في اختلافهم حول تحديد فترة زمنية لبداية الشعر الجاهلى قبل الاسلام، وان كنت أرى أن تحديد مائة وخمسين عاما قبل الاسلام لهذا العصر هو اقرب الآراء للأخذ به حيث أن العدنانيين انفصلوا عن اليمنيين

---

(١) قيم جديدة لأدبنا العربى ص ١٦١

(٢) راجع تاريخ الآداب العربية ص ٦٣ ، المزهر ٢/٢٩٦ ط صبيح ، الحيوان ١/٣٤ نشر هارون ، الحياة العربية من الشعر الجاهلى ص ١٧٤ ومقدمة القصيدة العربية فى الشعر الجاهلى ص ١٦ •

(٣) المزهر للسيوطى ٢/٢٩٦ ط صبيح •

بعد منتصف القرن الخامس الميلادى بقليل ، وهذه حادثة سياسية لها مدلولها وخطرها في البيئة العربية (١) ٠

٢ ـ واذا كنا قد حاولنا اثبات بداية للشعر الجاهلى لنتعرف من خلال هذه الفترة على ألوان الشعر واتجاهاته ومميزاته فاننا نجد أنفسنا أمام آراء تدفعنا الى الشك والحيرة مع أصحابها ، في قضية من أخطر قضايا الفكر العربى وهى « الانتحال » في الشعر الجاهلى ، ولكننا نجمع زمام أمرنا ولا نخوض فيما خاضوا فيه ولن نضع في اعتبارنا نسبة الشعر الجاهلى الى قائله بقدر ما نحرص على نسبة ما صح منه الى عصره ، وكما تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن : « فمهما يكن الرواة قد غيروا منه أو أضافوا اليه لسبب أو لآخر يبقى في جملته غير متهم بالزيف أو الوضع ٠ والقدر الذى حمل عليه وزرا وأضيف اليه انتحالا كان من مهارة التقليد بحيث فات خبراء الشعر الاقدمين ـ من أمثال خلف الأحمر ، وأبى عبيـــدة والأصمعى ٠٠ ان ميزوه فاكتسب بهذه المهارة في التقليد صفة التمثيل للشعر الجاهلى كما اعتده اقرب الناس عهدا به » (٢) ٠

٣ ـ ولكن كيف نشأ هذا الشعر وما دوافعه وما هى أشـــكاله الأولى التى بقيت لنا ٠٠ وما ألوانه وفنونه ؟

أما من حيث نشأة الشعر ودوافعه فلا يكاد يختلف اثنان في أنه قديم قدم الانسان « ويحدثنا علماء (الانثروبولوجيا) عن أناشيد الرعى والاستسقاء والعبادة عند الشعوب البدائية ، فنرى ما فيها

---

(١) فقد قامت حرب طاحنة بين عرب الشمال العدنانية ، والجنوب وانتصر فيها الشماليون وتخلصوا من سيطرة الجنوبيين ٠ راجع الحياة الأدبية في العصر الجاهلى ص ١٨ ٠

(٢) قيم جديدة للأدب العربى ص ٢٠

من شعر ، وتحفظ لنا الانسانية الملاحم القديمة كملحمة جلجامش البابلية التى يعود تاريخها الى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، كما تحفظ لنا كتب الموتى الفرعونى أناشيد الغزل الحلوة ، التى أبدعها الشاعر المصرى القديم ، كما تحفظ لنا الياذة هوميروس وأوديسته . وسيظل الشعراء يكتبون ويتفننون الى أن يرث الله الارض ومن عليها » (١) فالشاعر يغنى لنفسه ، لآماله ، لأحلامه ، ويصور ما يعن له من فكرة وما يداعب وجدانه من شعور ، فكان هذا الشعر يتغنى به عند العرب والافرنج على السواء ، وكما هو معروف فان الشعر لغة الخيال ، والخيال أسبق وجودا من العقل والتفكير ولذلك فقد لازم الشعر الامم منذ طفولتها وارتبط بالالهام عند العرب واليونان على السواء في عصورهما الاولى ، فالشعراء عند سقراط وأفلاطون وسطاء بين الآلهة فينطقون بالحكمة ويهدون قومهم الى المثل العليا ، وكان العرب مثلهم يعتقدون أن لكل شاعر شيطانا يقول الشعر على لسانه . فمن ذلك قول الراجز :

انى وان كنت صغير السن ... وكان في العين نبو عنى
فان شيطانى أمير الجن ... يذهب بى في الشعر كل فن (٢)

ولكن هذا كان في العهود الاولى ، وبعد أن تقدمت الحياة ، وارتقى الوعى أدرك أرسطو أن الشعر منبعه المحاكاة ، وأدرك العرب أن الشعر لا يجيء على لسان الشياطين ، ولا يأتى عفوا وتلقاء ، ولهذا بالغوا في تهذيبه ، وعرفوا أنه صنعة فمضوا يجودونه ويهتمون به حتى يخرج في أحسن صورة وأقوى بناء (٣) .

---

(١) قراءة جديدة لشعرنا القديم ص ١١
(٢) رسائل أبى العلاء ص ١٠٥
(٣) راجع النقد الأدبى الحديث ص ٣٧٣ ، اتجاهات وآراء فى النقد الحديث ص ٣٤ وما بعدها ، وفن الشعر ص ٣٢ ، ٣٣

فاذا أردنا أن نتعرف على الأجناس الشعرية في الأدب العربي ، فاننا سنجد الطابع الغنائي هو الاتجاه العام للقصيدة العربية في الشعر القديم . أما ما وجد من بعض الآثار التي تحمل الطابع القصصي كملحمة « الزير سالم » ، و « سيف بن ذي يزن » ، « أبي زيد الهلالي » فان هذا النوع ينتمي الى الادب الشعبي ولم يرق الى النوع الادبي المعروف بمميزاته الخاصة التي تجعل منه جنسا متمايزا عن بقية الأجناس الأخرى (١) . وقد اختلف الباحثون والدارسون حول الأسباب التي حالت دون وجود القصص والتمثيل في الأدب العربي (٢) . فالشعر العربي قد نشأ نشأة غنائية شأنه في ذلك شأن الشعر اليوناني . ولذلك نجد العرب يطلقون الغناء على الشعر . يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنابغة الجعدي : « أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك » يريد شعرك وهذه الصلة بين الغناء والشعر قديمة لا في الشعر العربي فحسب ولكن عند اليونان والرومان والهند والفرس منذ أقدم العصور . فيذهب علماء علم الجمال الى أن العمل الجماعي الذي كان يقوم به الانسان الأول كان يحث على الغناء وعلى نشوء الشعر (٣) . والشعر العربي قد ارتبط بالغناء ، أو بمعنى أوضح كان الغناء الدافع الأساسي لقول الشعر عند العرب . لأن الدافع الى الغناء كان بدافع الرغبة في التعبير عن خوالج النفس واحساساتها ، أو المساهمة في رفع الملل عن الشخص ذاته ، أو عنه وعن زملائه نتيجة الاجهاد

---

(١) راجع : الأديب المقارن لغنيمي هلال ص ١٥٩ ، ومسرحيات شوقي لمندور ص ٦ .

(٢) راجع في ذلك : أصول النقد الأدبي ص ٣١٣ وما بعدها ، الادب الجاهلي لطه حسين ، النابغة الذبياني لعمر الدسوقي ، وفي أصول الادب للزيات ص ١٧٥ وما بعدها .

(٣) البناء الفني ص ٣٢

والتعب أثناء العمل اليومى ، ولذلك لجأ الى تخير لغة ذات واقع خاص يساعد على الترجيع والانشاد للتعبير عن هذه الاحاسيس • وعلى ذلك نشأت الاناشيد ونشأ الشعر أيضـــا • لأن حاجة الانسان الى الغناء كانت الباعث الأول على نشأة الكلام الموزون ، وهو الشعر الذى تغنى به في حله وترحاله ، وفي حبه ولهوه ، وفي حدائه للابل ، وفي كل وقفة له عند مشهد من مشاهد الطبيعة والحياة والجمال •

وأما عن أشكاله الأولى فيقول صاحب المزهر : « ولم يكن لأوائل العرب من الشعر الا الأبيات يقولها الرجل في حاجته ••• ومن قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم وكان مجاورا في بهراء قرابة ريب فقال :

قد رابنى من دلوى اضطرابها والنأى في بهراء واغترابها
الا تجىء ملأى يجىء قرابها

ومما يروى من قديم الشعر قول دويدبن زيد بن فهد حين حضره المـــــوت :

اليـوم يبنى لدويد بيتـــه او كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحـدا كفيته يارب نهب صالح حويته
ورب غيــل حسن لويته (١)

وكما ترى فان هذين المثالين ليس فيهما أثر من آثار التهذيب والاتقان وجرت معانى الابيات في بســـاطة متفقة مع ما عرض لكل شاعر في حياته اليومية فقال مرتجزا أبياته • ولكنهما صورة للشعر الجاهلى قبـل أن ينتقل الى النهضـــة الفنية التى حددنا بدايتها

---

(١) راجع المزهر للســيوطى ٢/٢٩٤ والنهب : بوزن الضرب : الغنيمة • والغيل « بالكسر » الشجر الملتف •

بمائة وخمسين عاما قبل الاسلام • ولكن هل معنى هذا أن الشاعر العربى اتخذ الرجز قالبا لأشعاره في بداية نشأة الشعر •• ولجأ الى المقطعات التى يصور فيها ما يعن له من فكرة أو يداعب وجدانه من أحاسيس •

الواقع أن هذا هو الرأى الصواب اذا ما وضعنا في اعتبارنا أن السجع كان حلقة اتصال بين الكلام المرسل والمنظوم وذلك لسهولة الرجز وخفته على الطبع ومناسبته للخواطر السريعة التى قد تعرض للانسان العربى في تنقلاته ومعاهداته • يقول الدكتور شوقى ضيف: « وكل ما يمكن أن يقال هو أن الرجز كان أكثر أوزان الشعر شيوعا في الجاهلية ، اذ كانوا يرتجلونه في كل حركة من حركاتهم وكل عمل من أعمالهم في السلم والحرب ، ولكن شيوعه لا يعنى قدومه لا سبقه للأوزان الأخرى انما يعنى أنه كان وزنا شعبيا لا اقل ولا أكثر » (١)• ولكن ألا يكون هذا أيضا مجرد فرض مادمنا لا نملك المثال الذى يلغى ذلك الافتراض ، ولكن الافتراض المطروح يكون أكثر ضعفا في نظرنا لان التطور طبيعة الحياة واللجوء الى الأسهل في بداية الأمور شيء طبيعى الى جانب بعض النصوص القديمة التى وردت على بحر الرجز مما نجد أنفسنا نميل الى تقوية هذا الاحتمال • ثم يذكر شوقى ضيف بعد ذلك أن الشعراء الممتازين في الجاهلير لم ينظموا في هذا البحر وانما نظموا في الطويل والبسيط الخ ••• وهذا صحيح ولكنه دليل آخر على الممتاز من الشعراء الذى رق حسه ونما فكره استطاع أن يدرك أنه ليس أهلا لهذا الارتجاز الذى كان يتفق مع البساطة في القول والتفكير وسرعة الخاطر • ولهذا كان الارتجاز قليلا في زمن الجاهلية وعلى صورة مقطوعات ، سرعان ما اتجه الكثير

---

(١) الشعر الجاهلي ص ١٨٦ ط ٥

من الشعراء الى استعمال أوزان أخرى غير الرجز ، ومنها : الطويل والكامل والوافر وغيرها من البحور ، في الوقت الذى عزف بعضهم عن الرجز وخاصة النوابغ منهم .« ففى ديوان امرىء القيس لا نعثر الا على أربع مقطعات صغيرة منه ، ولبيد تنسب اليه خمسة عشر مقطعة في الرجز المشطور ، أما دواوين النابغة الذبيانى وزهير بن أبى سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة الفحل فلا شىء فيها من الرجز » (١) وبهذا نرى أن الشعر قد تطور الى القصيدة ، وأول من يروى له كلمة « قصيدة » تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر مهلهل (٢) على اختلاف فيمن كان أول من أحدث النهضة الفنية في الشعر . وكان المهلهل (م٥٣١ م) أول من نقل الشعر العربى من طور الأراجيز والمقطعات الصغيرة الى مرحلة القصيد ، وله الكثير في أخيه كليب زعيم ربيعة والعرب بعد مقتله (٤٩٤ م) وقصيدته القافية : « جارت بنو بكر ولم يعدلوا » . احدى القصائد السبع « المنتقيات » وكانت العرب تسميها الداهية (٣) فاذا ما رجعنا الى مصادر الشعر الجاهلى تبين لنا أنه « تناول في وزنه أغلب البحور التى ذكرتها كتب العروض تناولا مستفيضا . ففيه البحور الطويلة المعقدة ، والبحور القصيرة الخفيفة ، وفيه البحور كاملة تامة ، وفيه هذه البحور مشطورة أو مجزوءة » (٤) والتى جمعها الخليل بن أحمد الفراهيدى (١٠٠ - ١٧٤ هـ) في خمسة عشر بحرا (٥) فاذا ما تركنا الرجز - الذى يتطور في العصر الاسلامى وما بعده -

---

(١) تاريخ الآداب العربية ص ١٨٦ وما بعدها

(٢) المزهر ص ٢٩٦ .

(٣) البناء الفنى للقصيدة العربية ص ٦٥ وما بعدها

(٤) القيان والغناء ص ١٨٢.

(٥) استدرك عليه أبو الحسن الأخفش وزنا سماه (المتدارك) استخدمه الجاهليون نادرا ولكنه جاء في شعرهم .

وجدنا أن أكثر البحور استعمالا لدى الاقدمين هى الطويل ، والكامل ، والوافر ، والبسيط ، والمتقارب والسريع (١) .

وقد التزم الشاعر البحر الواحد والقافية الموحدة والروى الواحد ولم يشذ عن ذلك الا عبيد بن الأبرص الذى اضطرب في الوزن الشعرى في معلقته البائية التى مطلعها :

أقفر من أهله ملحـــوب　　فالقطيبات فالذنـــوب

التى جاءت على مخلع البســيط ، وفيها اضطراب كثير في الوزن ، لذلك عابه ابن سلام الجمحى على شعره حيث يقول : « وشـــعره مضطرب ذاهب فهو لا يلتزم البحر الذى نظمت عليه القصيدة ، ومال عن النغم الموسيقى الذى يستسيغه الذوق العربى » (٢) .

٤ - وكانت المعلقات أعلى النماذج الفنيـــة الكاملة للشـــعر الجاهلى في منهج القصيدة العربية وان كان بجانبها مئات القصائد الطويلة الرصينة الجديرة بالدراسة والبحث .

وقد كثرت البحوث حول هذه المعلقات واتسع الجدل والخصام حول تسميتها ، وأقرب الآراء في نظرى ما ذكره التبريزى من « أن وجه تســميتها بالمعلقـــات علوقها بأذهان صـــغارهم وكبارهم

---

(١) راجع أصول النقد الأدبى ص ٣٢ ، الشـــعر العـــربى مراحله واتجاهاته الفنية ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) العمدة ١٩٤/١ مطبعة السعادة بمصر تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الحياة العربية من الشعر الجـــاهلى ص ٢٠١ ط ٥ نهضة مصر ، العصر الجاهلى ص ١٥٧ ط ٥ .

ومرءوسيهم ورؤساؤهم وذلك لشـدة اعتنائهم بهـا » (١) وذلك لأسـباب منها :

١ ـ ما في بعض هذه المعلقات من فحش لا يتناسب مع تعليقها في الكعبة مكان تقديس العرب واكبارهم ٠

٢ ـ أنه لم يرد لنا شيء عنها في عصر الرسـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو علقت على أستار الكعبة لانتشر ذلك بعد العرب والمسلمين وتناقلوه فيما بينهم ٠

٣ ـ أن العرب لم يكتبوا قبل القرآن الكريم كتابا مدفقا فكيف نثبت لهم كتابة هذه المطولات حتى يعلقوها (وليس معنى هـذا انكار معرفة العرب للكتابة بل كان منهم من يعرف الكتابة ولكنهم كانـوا أقـلة) ٠

٤ ـ وأخيرا فان أول من ذكر تعليقها على الكعبة هو ابن الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤ هـ أو عزاها غيره اليه رغبة منه في تحبيب الناس في الشعر الجاهلى بعـد ما رأى بوادر الانصراف عنه الى الشـعر الاسلامى ، وحماد الراوية الى قام بجمعها لأول مرة والمتوفي سـنة ١٥٥ هـ أسماها المشهورات أو السموط (جمع سمط وهو العقد) ولم يطلق عليها اسم المعلقات (٢) ٠

وكما اختلف في تسميتها اختلف في عددها وأصحابها ، وسواء أكانت سبعة أو ثمانية أو تسعة أو عشرة باضافة معلقة عبيد ابن

---

(١) راجع الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ص ٢٦٢ ٠

(٢) راجع في هذا الحيـاة الادبية في العصر الجـاهلي ص ٢٥٧ وما بعدها ط ١

الابرص لها (وان اختلفوا في تحديد قصيدته) (١) فان ما يهمني في هذا المجال - رغم هذه الاختلافات - أن أوضح أن المعلقات من أعظم الأعمال الفنية القديمة التي تمتاز بطول القافية ، وجزالة أسلوبها وابتكار كثير من معانيها ، وتنوع أغراضها وفنونها ، الى جانب أنها سجل خالد لمجد العرب وطباعهم وعاداتهم وألوان تفكيرهم • ولذلك لقيت اهتماما عالميا وعكف على دراستها الدارسون والباحثون في الشرق والغرب • وستظل الأنموذج الأعلى الذي يحتذى وينظر اليها الأدباء والمتأدبون على أنها حدث عظيم وسجل خالد الأعمال جليلة تمثل نماذج فنية عالية للشعر الجاهلي •

وبعد •• فهل لنا بعد ذلك أن نتعرف على نهج هذه القصيدة ومحتواها حيث اتخذها الشعراء مثالا ينشدون على منواله وطريقا ممهدا يسيرون عليه ؟ • ان أول ما نلاحظه على المعلقات أنها قصائد ذات شخصية وخصائص واضحة لقائليها ، فتعرض لنا شخصيات متمايزة • فقد تركت شخصية امرىء القيس ، ولبيد ، والنابغة ، والأعشي ، وغيرهم من أصحاب المعلقات طابعها على أشعارهم ، اذ اهتموا بالتعبير عن مشاعرهم وذواتهم وواقع حياتهم لا يتصنعون الموقف أو العواطف (٢) •

وثاني ما نلاحظه على المعلقات - والقصيدة الجاهلية بصفة

---

(١) راجع البناء الفني للقصيدة العربية ص ٥٠ ط ١ ، وكتاب الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ط ١ ص ٢٦٢ ، العصر الجاهلي ط ٥ دار المعارف ص ٢٦٥ ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ٢٠١ ط ٥ نهضة مصر ، شرح المعلقات العشر شرح وتعليق فوزي عطوى (طبع الشركة اللبنانية للكتاب ببيروت عام ١٩٦٩) •

(٢) راجع مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص ٣٧٢ وما بعدها •

عامة ـ أنها تتكون من مقـــدمة وغرض • فالمقدمة الطللية هى الغالبة على القصيدة الجاهلية ، والمعلقات بصفة خاصة ، ولذلك وجدنا كارل بروكلمان يقول في معرض حديثه عن الشعر الجاهلى : « القصيدة المؤلفة على نظام دقيق ينبغى استهلالها بالنسـيب والحنين الى الحبيبة النائية •• وذلك الحنين الذى يعترى الشاعر عند رؤية أطلالها الدائرة وهو راكب في القفار » (١) ولكن اذا كانت المقدمة الطللية هى أقدم أشكال المقدمات التى أرسـاها الشعراء فاننا نجد الكثير من القصائد الجاهلية التى ابتدأت بمقدمات أخرى كالغزل وبكاء الشباب والفروسية وغير ذلك •

أما ما تناولته من أغراض ومعان وأخيلة فانها تناولت شتى الأغراض والموضوعات الخاصة بالشاعر نفسه ، وبيئته وبحيـاة الصـحراء أو المدن من حوله في وضوح ويسر لا تكلف ولا اغراق في الخيال ، وفي تعبير صادق مسايرة في ذلك فطـرة العـربى وحيـاته البسيطة ، وصحراءه الممتدة وسماءه الصافية ؛ الى جانب الدقة في التصوير والاحكام في الصياغة والوزن حتى تخرج الصورة مستقيمة ذات حدود واضـحة مليئة بالحركة والحياة (٢) • يقول الدكتـور شوقى ضيف : الشـعر الجاهلى ـ كما وصلتنا نماذجه ـ لا يعتمد أصحابه على « فن الموسـيقى » • فقط وما يحدثون فيه من قواعد والتزامات دقيقة ، بل هم يعتمدون على فن آخر لعله أكثر تعقيدا وهو « فن التصـوير » ولعل ذلك ما جعل « جب » يقول : « ان أدب

---

(١) تاريخ الادب العربى لبروكلمان ٥٩/١

(٢) راجع فى هذا : مقدمة القصيدة العربية فى الشـعر الجـاهلى للدكتور حسين عطوان ص ١٧٩ ، والشـعر العربى بين الجمود والتطـور ص ٤ ، ١٠ ، والقيان والغناء فى العصر الجـاهلى ص ١٨٢ وما بعدها . والعصر الجاهلى ص ٢١٩ •

العرب أدب رومانتيكى » فهو في أقدم نماذجه يغلب عليه الخيال و « التصوير » ومن يرجع الى نماذج امرىء القيس وهو من أقدم الشعراء الجاهليين يلاحظ أنه يعنى بالتصوير في شعره كأن « التصوير غاية في نفسه » (١) ولذلك كانت أشعارهم مادة خصبة للتعرف على طباع العربى وحياته وكل ما يتصل به من سمات وخصائص ، وأجدنى مشدودا الى مثال من معلقة امرىء القيس التى يبدؤها بقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

لنتبين فيه صدق ما قلناه عن الشعر الجاهلى · استمع اليه يصف السيول والامطار واثرها عندما هطلت على منازل قومه بنى أسد بالقرب من تيماء في شمالى الحجاز (٢) :

أحار ترى برقا كأن وميضه ... كلمع اليدين في حبى مكلل (٣)

يضيء سناه أو مصابيح راهب ... أهان السليط في الذبال المفتل (٤)

قعدت له وصحبتى بين حامر ... وبين اكام بعد ما متأمل (٥)

وأضحى يسح الماء عن كل فيقة ... يكب على الأذقان دوح الكنهبل (٦)

---

(١) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١٤ وما بعدها ط ٧ دار المعارف بمصر ·

(٢) راجع الأبيات فى « شرح ديوان امرىء القيس » دار احياء التراث العربى ببيروت ص ٣٩ وما بعدها ط ٢ سنة ١٩٦٩ ، العصر الجاهلى ص ٢٥٥ وما بعدها ط ٥ ·

(٣) حار : ترخيم حارث ، الحبى من السحاب ، والمكلل : المتراكم ، وقيل الحبى : الدانى من الارض ·

(٤) السليط : الزيت ، الذبال : الفتائل ، أهانه هنا : أكثر منه ويروى : أمال بمعنى رعى وهى أجود ·

(٥) حامر واكام : مكانان ، بعد ما متأمل : تأملته من مكان بعيد ·

(٦) الفيقة : ما بين الحلبتين : يريد أنه يسح ثم يسكن ثم يسح ، وعن : معناها هنا : بعد ، يكب على الأذقان : يسقط ويلقى على وجهه ، الكنهبل : ما عظم من شجر العضاة ، الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة ·

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ... ولا أطما الا مشيدا بجندل (١)
كأن طمية المجيمر غدوة ... من السيل والغثاء فلكة مغزل (٢)
كأن أبانا في أفانين ودقه ... كبير أناس في بجاد مزمل (٣)
وألقى بصحراء الغبيط بعاعه ... نزول اليماني ذي العياب المخول (٤)
كأن سباعا فيه غرقى غدية ... بأرجائه القصوى أنابيش عنصل (٥)
على قطن بالشيم أيمن صوبه ... وأيسره على الستار فيذبل (٦)
ألقى ببسيان مع الليل بركه ... فأنزل منه العصم من كل منزل (٧)

ففى هذه القطعة الكثير من التصوير الدقيق • حيث شبه وميض البرق وتألقه في سحاب متراكم بحركة اليدين اذا ما أشير بهما ، أو كأنه مصابيح راهب يتوهج ضوؤها بما يمدها من زيت كثير ، ويصف طمية جبل المجيمر وقد التفت به السيول وما تحمل من غثاء كأنه فلكة مغزل ، وأبان وما غطاه من هذا السيل ، والغثاء كأنه شيخ

---

(١) الأطم : البيت •

(٢) طمية : جبل ، المجيمر : أرض لبنى فزارة ، الغثاء : ما يحمله السيل من فتات الاشجار ، فلكة المغزل : ما استدار فوق رأسه •

(٣) أبان : جبل ، أفانين : ضروب ، الودق : المطر ، البجاد : كساء مخطط ، مزمل : صفة لكبير أناس أى أنه متدثر بثيابه ملتف بها •

(٤) الغبيط : موضع ، البعاع : الثقيل ، العياب : الحقائب ، المخول : كثير المتاع والغلمان الذين يصحبونه •

(٥) غدية : حين يصبح الناس ، أنابيش العنصل : جذور البصل البرى •

(٦) قطن : اسم جبل فى ديار بنى أسد ، الشيم ، النظر الى البرق والمطر الستار ويذبل : جبلان •

(٧) بسيان : جبل ، البرك : الصدر ، العصم : الأوعال •

ملتف في كساء مخطط . ورءوس آجام السباع وقد غمرها السيل وغطاها تبدو للعين كأنها جذور البصل البرى . الى جانب الدقة في رسم الصورة الكلية لهذا المنظر البديع وكأننا أمام فنان مبدع يخرج لنا لوحة فنية رائعة ، فالصوت نسمعه في مناداته لصاحبه حارث ، وصوت البرق وما يحدثه ، وصوت السيل المنهمر وما تحدثه أصوات الأوعال عند نزولها من فوق جبل بسبان بعد أن عمه المطر . أما الحركة فظاهرة تماما في كل بيت من ابيات هذه الصورة مثل حركة البرق والومض واليدين والمطر وهو يسح والنزول الخ ... أما اللون فنجده في وميض البرق ، ولمعان اليدين ، والسنا ، والمصابيح ، والدوح ، والملابس ، وجذور البصل البرى الى غير ذلك .

كما نجد الاجادة في الصياغة والبساطة في التعبير الذى لا مظهر فيه لتكلف أو افتعال . واذا كانت حياتنا الأدبية قد شاع فيها تقسيم الشعر الى أغراض كالمدح ، والهجاء ، والفخر ، والرثاء ، وما الى ذلك حتى جعلها أبو تمام في كتابه « الحماسة » عشرة أبواب ، وأوصلها البحترى في مختاراته الى مائة وسبعين فنا ، وردها البارودى في مختاراته الى سبعة (١) . أقول اذا كانت حياتنا الادبية قد عرفت فنون الشعر وأغراضه فان شعراء الجاهلية قد طرقوا هذه الأغراض فنا ، ولكنهم لم يعرفوها بتلك الأسماء ، كما أن المديح تأخر في الوجود عن كثير من فنون الشعر الاخرى ، وكان في الأصل شكرا على يد ، أو تعبيرا عن وفاء ، حتى كان النابغة فاتخذ من الشعر مادة للتكسب حيث اتجه الى الملوك والامراء يمدحهم به فأجزلوا له العطاء ، ثم خضع للنعمان بن المنذر فكان ذلك سبيلا

---

(١) راجع معالم النقد الأدبى ١/٧٤ مطبعة المدنى

الى ضياع مكانة الشعر والشعراء ، وانحطاط مكانتهم (١) ٠

هذه كلمة موجزة عن الشعر عند العرب ، وأولياته وأشكاله الأولى ، والنظام الذى أرسي قواعد القصيدة العربية ٠ وقد اتضح من خلالها أن الشعر العربى كان فنا مستوفيا لكل أسباب النضج الفنى ، ويستشرف آفاقا أرحب وأعمق تتجاوز الفترة التى حددها الأدباء للعصر الجاهلى ٠

---

(١) راجع العمدة ٤٩/١ ٠

الملاحم في العصر الحديث

١ - كان الشعر الملحمى شعر البدائية الأولى ، وعصر الطفولة البشرية ، يعيش في أجواء الخرافة والاسطورة ، يصطنع أحداثها ، أبطالها وخوارقها . ومن أجل ذلك تخلف عن ركب الحياة حين ارتقت الحياة ، وحين بلغ الانسان مرحلة النضج والرشد (١) . واذا لم يكن للعرب ملاحم - على الرغم من توافر مادتها بينهم ، حيث كانت لهم أيامهم المشهورة في الحرب ، وتوالى أسفارهم وتنقلاتهم ، وشيوع الاساطير والخرافات بينهم - فلأنهم اجتازوا مرحلة البدائية واكتمل الوعى الفكرى والاجتماعى فيما وصل الينا من شعر يمثل حياتهم الجاهلية التى سبقت الاسلام بمائة وخمسين عاما . أما بعد الاسلام ، فمن المحال أن نطلب من شاعر اسلامى أن يطلق لخياله العنان ، فيتصور آلهة تشترك مع البشر في حروبهم ووقائعهم ، كما تصوره ذلك « هوميروس » من قبل (٢) .

أما ما جد عند العرب من قصص كالزناتى خليفة ، وأبى زيد الهلالى والزير سالم ، وسيف بن ذى يزن وأمثالها ، فهو نوع آخر من القصص الشعبى الذى يتخذ مادة للسمر والغناء ، ودراسة هذا النوع من الأدب لها قيمة اجتماعية عظيمة ودلالة شعبية واسعة (٣). وخلو الشعر العربى من الملاحم لا يضره ، ولا ينقص من قيمته ، اذ ليس من اللازم أن يكون شعر جميع الأمم على نسق واحد ، بل ربما كان هذا التباين من الاسباب المؤدية الى ابراز أنواع الجمال كافة على اختلاف صوره وأشكاله (٤) .

---

(١) اتجاهات وآراء فى النقد الحديث للدكتور محمد نايل ص٣٠
(٢) الملحمة فى الشعر العربى ص ٤
(٣) راجع الادب المقارن للدكتور محمد غنيمى هلال ص ١٥٩ .
(٤) راجع ص ٨٣ من البستانى والياذة « هوميروس » للبدوى الملثم .

٢ - وقد عرف الشعر العربى نوعا آخر مما يشبه الشعر القصصي وهو التعرض لكتابة التاريخ أو فصل منه شعرا ، فوجدنا ابن عبد ربه ينظم حروب عبد الرحمن الناصر في مطولة شعرية ، ولسان الدين ابن الخطيب ينظم التاريخ حتى عصره شعرا ، وكثيرا ما تعرض الشعراء لسيرة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، وقصتي الاسراء والمعراج ، فنظموا فيها القصائد الطويلة .

وبدراسة هذا الشعر نرى أنه يعتمد على سرد الحقائق والمعلومات في غير قصد الى اثارة الخيال أو اثارة للمشاعر (١) ، مما يجعله يندرج تحت مفهوم : الشعر التعليمي ، الذى يجمع قواعد العلوم في متون منظومة هدفها حصر القواعد والقوانين ليسهل حصرها والتعرف عليها ، كألفية ابن مالك التى جمعت قواعد النحو والصرف في ألف بيت .

٣ - وفي العصر الحديث ، عظم اتصالنا بأدباء الغرب ، وتيسر الاطلاع على أشهر الملاحم العالمية ، وأثار النقاد موضوع الملاحم وخلو الشعر العربى منها ، فتطلع لفيف من الشعراء الى آفاق جديدة ، وصمموا على تلقيح الأدب العربى المعاصر بملاحم جديدة ذات ألوان جديدة ، وموضوعات جديدة (٢) ، فنقل سليمان البستانى الياذة « هوميروس » الى العربية شعرا (٣) ، ثم حاول شعراء آخرون وضع الملاحم ، فقام أحمد محرم بنظم « الالياذة الاسلامية » وتدور حول جهاد الرسول عليه الصلاة والسلام - في سبيل اعلاء كلمة الحق وتخليص العالم من الشرك والوثنية ، وما قام به الرسول في سبيل ذلك من هجرة وغزوات وحروب .

---

(١) دراسات فى الشعر العربى المعاصر ص ٤٦ .

(٢) البستانى والياذة « هوميروس » ص ٨٧ .

(٣) فيما يزيد على ستة عشر الف بيت ، وطبعت فى القاهرة سنة ١٩٠٤م بمطابع دار الهلال .

ثم كانت المحاولة الثالثة من شاعر المهجر المجدد (فوزى المعلوف) فوضع ملحمة « على بساط الريح » مأخوذة من أسطورة شرقية زعمت أن السحرة تمتطيه في غدوها ورواحها (١) ، وكانت المحاولة الرابعة للشاعر : شفيق معلوف (م ١٩٧٦ م) بملحمة « عبقر » (٢) وغير ذلك من المحاولات الجادة التى تسمى بالمطولات الشعرية ٠

٤ ـ الا أنه يلاحظ في هذا الاتجاه أن بعض الشعراء لجئوا الى التاريخ ينظمون فيه المطولات التى تتعرض للمواقف البطولية ، واستعراض الأمجاد الوطنية أو الاسلامية ، فكان منها المطولات ذت الطابع الاسلامى كمطولة البارودى « كشف الغمة في مدح سيد الأمة » والتى عارض فيها قصيدة « البردة » المشهورة للبوصيرى ، وقد ضمنها سيرة الرسول منذ ولادته حتى وفاته ، وأولها :

ياراثد البرق يمم دارة العلم وأحد الغمام الى حى بذى سلم (٣)

واذا كان البارودى قد شرح وفصل وضمن قصيدته معارف أكثر مما تضمنته قصيدة البوصيرى (٤) فان هذا قد أضعف من قيمتها الفنية ، وجعلها أقرب الى السرد التاريخى (٥) ، ولكنها من جهة أخرى تمتاز بوصف غزوات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفا حيا رائعا ٠

---

(١) نظمها سنة ١٩٢٦م فى أربعة عشر نشيدا ٠

(٢) خرجت فى اثنى عشر نشيدا فى طبعتها الاولى سنة ١٩٣٦ م والثانية سنة ١٩٤٦ م

(٣) القصيدة مستقلة عن الديوان فى طبعة خاصة صدرت عن مطبعة الجريدة سنة ١٣٢٧هـ وبلغت أبياتها أربعمائة وأربعين وسبعة أبيات ٠

(٤) الملحمة فى الشعر العربى ص ٣٨ ٠

(٥) شوقى شعره الاسلامى ص ١٠٨ ٠

ويرى الدكتور شوقى ضيف أن هذه الملحمة التى أوحت الى حافظ ابراهيم أن ينظم مطولته عن عمر ، كما أوحت الى أحمد محرم ملحمته والدالإذته فى السيرة النبوية ، وأيضا استضاء بها شوقى كما استضاء ببردة البوصيرى فى ميميته « ريم على القاع بين البان والعلم » (١) ، على هدى من البوصيرى والبارودى - كما يقول الدكتور شوقى ضيف - يعارض شوقى البوصيرى بمطولته نهج البردة والتى أولها :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم (٢)

ثم يعارض همزية « البوصيرى » التى مطلعها :

كيف ترقى رقيك الأنبياء   يا سماء ما طاولتها سماء

بمطولته الهمزية النبوية التى مطلعها . (ولد الهدى فالكائنات ضياء) (٣) .

واذا كان البوصيرى فى مدائحه النبوية يعبر عن حبه نحو الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان لشوقى هدف أبعد مدى من ذلك : فهو يصور لنا صفات الرسول صلى الله عليه وسلم تلك التى كانت له أكبر عون على تحقيق دعوته ، والتى مكنته من أن يحول أمة جاهلة متفرقة الى دولة اسلامية عزيزة الجانب ، يصورها لنا حتى تكون مثلا أعلى يقتدى به المسلمون فى حاضرهم ، ويتخذ من حياة الرسول ما يذكر المسلمين بدينهم

---

(١) البارودى رائد الشعر الحديث ص ١٤٩

(٢) الديوان ٢٤٠/١ ، وقد بلغت أبياتها تسعين ومائة بيت ، وأنشدت سنة ١٩١٠ م

(٣) الشوقيات ٢١/١ وعدد أبياتها واحد وثلاثون ومائة بيت .

السمح ، وماضيهم المجيد ، في وقت كثر فيه التهجم على الاسلام ، وقويت سيطرة المستعمر على البلاد ، فضعفت العزائم ، واستكانت الهمم ، وعز المثال الذى يحتذى في التضحية والفداء .

٥ - وفي هذا الاتجاه كانت مطولة «شوقى» أرجوزة العرب الكبرى: «دول العرب وعظماء الاسلام» التى يترجم فيها لكبريات الدول الاسلامية وطائفة من عظماء التاريخ الاسلامى منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى العصر الحديث ، وقد تحدث عن عبقرياتهم ، ومابذلوه في سبيل رفعة الاسلام والمسلمين من جهد وتضحية ، حتى يكون ذلك دافعا للهمم ، وحافزا على الاقتداء بأبطال الاسلام الأولين (١) وقد بلغت أبيات هذه الأرجوزة ستة وعشرين وسبعمائة وألف بيت ، وتقع في مائة صفحة وتسع صفحات .

ويبدأ شوقى أرجوزته ، بحمد الله ، والصلاة والسلام على نبيه وصحابته ، ثم يتحدث عن سيرة الرسول - علية الصلاة والسلام ، وجهاده في سبيل نشر الدعوة ، حتى ارتفع علم الاسلام عاليا خفاقا ،

ثم ينتقل الى الحديث عن الدولة الاموية ، وملكها الضخم الذى بناه « حد السيف » كما يقول ، ويذكر عزة الاسلام ، وتقلبه في أرجاء ذلك الملك الكبير ، منبها الى سر عظمة رجاله ، وما كان لهم من جهاد وصبر لا يعرف اليأس ، حتى انتهت ايام الدولة الأموية ، لتبدأ من جديد في ظلال الأندلس على يد صقر قريش (عبد الرحمن الداخل) ، ويستطرد في حديثه الى الدولة العباسية ، ويقف عند مؤسسها « أبى جعفر المنصور » مظهرا دوره الواضح في دولته : ثم يختتم الشاعر مطولته (دول العرب وعظماء الاسلام) بالحديث عن

---

(١) شوقى شعره الاسلامى ص ١١٣ .

الدولة الفاطمية ، ويمجد من رجالها « المعز لدين الله » مظهرا أعماله الجليلة من انشاء الأزهر ، وامتداد ملكه من أقصي المغرب الى حدود العراق • وهو في كل ذلك يخلد ذكرى البطولة الاسلامية ، ويعرض على أفئدة المسلمين صورا من مجد الأجداد ، عل فيها لهم العزاء عن الحاضر ، والأمل في المستقبل (١) • يقول عن عمر :

ان الذى رشح للملك عمر
أيده بالعلم في خير العمر
كفى بصحبة النبى معلما
وبالنبى مرشدا ومعلما
من صحب النجم تعالى وانفرد
ومن دنا من ساحة البحر ورد
عام عليه من بيان وخلق
ثلاثة من زن للملك خلق
عابوه بالشدة وهى حسن
في رجل للحق منه حصن
ميسر فى صلب والديه
لتفتح الدنيا على يديه
بالعدل والدرة طار بالعرب
وسار في الجو بهم وفي السرب (٢)

ومن هذا التوضيح نجد أن موضوعات هذه الارجوزة موضوعات واقعية ومتعددة وليس لها بطل رئيسي ، وكل قصيدة من قصائدها

---

(١) تطور الشعر العربى الحديث فى مصر ص ١٣٤ •
(٢) دول العرب وعظماء الاسلام ص ٤٠ ، ٤١ • والسرب : الطريق فى الأرض •

تعتبر مستقلة عن غيرها فهى سلسلة قصائد في التاريخ الاسلامى ، كما أن المعارك داخل هـــذه المنظومة لا تجمعها صفة واحدة أو اتجاه متقارب ، وباستثناء موشح «صقر قريش » الذى ضمه الشاعر الى الأرجوزة ، بعد أن تبين له لصلة القوية بينه وبينها (١) ، نجد أن أسلوبها أقرب الى سرد الحقائق التاريخية ، بعيدا عن الخيـــال والتصـــوير .

٦ – وأهم ما يميز الشعر القصصي ، قوة المعنى ، وجزالة اللفظ ، وروعة الوصف للحرب وأهوالها ، وبلاء الأبطال فيها ، والاشادة بنفس الجماعة ، وما ترتقى اليه حين تبلى فتحسن البلاء ، وحين تمتحن فتحسن احتمال المحنة ، مع اختفاء شخصية الشاعر اختفاء كاملا (٢) .

كما أن الملحمة عبارة عن قصة موضوعها حياة شعب بأكمله (٣) . فاذا قارنا بين سمات الأدب القصصي والملحمى هذه ، وبين ما عليه دول لعرب وعظماء الاسلام من صفات ، نجد ختلافا واضحا بينهما ، ومع ذلك عدها « أربرى » من الملاحم حيث يقول : (ومن بين تجارب شوقى الممتعة ، ملحمة غير مشهورة في تاريخ الخلفاء الأول ، هـــذه القصـــيدة الطويلة قـــد نظمت في قواف مزدوجة محاكاة للملحمـــة الفارسية – لعله يقصـــد الشاهنامة – ، ونســـتطيع أن ننظر بكل

---

(١) يؤكد ذلك وجود هذا الموشح بالجزء الثانى من الشوقيـــات ، ونظمه على بحر الرمل الذى يخـــالف بحـــر الرجز الذى نظمت الأرجوزة عليه فى قواف مزدوجة .

(٢) راجع مع المتنبى ٢/٣٢٧ للدكتور طه حسين . لجنة التـــأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ م

(٣) راجع فى أصول الأدب ص ١٧٥ ، وهامش ص ١٦٩ من كتاب : شوقى شعره الاسلامى .

اطمئنان الى هذه الملحمة كبداية لمرحلة جديدة في الشعر العربي ، وهي كتجربة لم تكن ناجحة ، والسبب الرئيسي أن موضوعها كان واقعيا جامدا ، الا أن شوقي ـ على الأقل ـ قد أثبت أن الملحمة يمكن أن تكتب في اللغة العربية » (١) ٠

وعدها آخرون من الشعر التعليمي الذي كان غرضا قديما للشعر العربي جدد فيه شوقي بهذه المنظومة (٢) ، وان كان يضعف من هذا الرأي ما أوضحناه من احتواء الأرجوزة على « موشح صقر قريش » وما يمتاز به من عاطفة قوية وخيال خصب ، وقدرة تعبيرية عالية ، وتصوير لبعض الأحداث تصويرا فنيا عاليا كقصائده في خلافة « عبد الله بن الزبير » و « أبي جعفر المنصور » ٠ ولما كانت هذه الأرجوزة تشبه الملاحم في طول النفس وطلاوة الأسلوب ، ووطنية الموضوع ، وعمومية الحادث (٣) ، ولأنها تعالج موضوع الحضارة الاسلامية ، وهو موضوع جليل يهم الشعوب الاسلامية ، ويصلح للملحمة ، ولكنها تتكون من عدة قصائد منفصلة لا ترتبط كل حوادثها ببطل رئيسي ، ثم هي بعد ذلك تخلو في كثير من مواقفها من الروح القصصية (٤) ، جعلها فريق ثالث من النقاد تحتل مركزا وسطا بين الشعر القصصي والشعر التعليمي ٠

فاذا رجعنا الى قول (أربري) وأمعنا النظر في قوله : « ونستطيع أن ننظر بكل اطمئنان الى هذه الملحمة كبداية لمرحلة جديدة في الشعر

---

(١) راجع تطور الشعر العربي الحديث في مصر ص١٣٥ وشوقي شعره الاسلامي هامش ١٦٩

(٢) راجع في الأدب الحديث ٢/٢٩٣ ، وأدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ص ١٦٨ ٠

(٣) في أصول الأدب ص ١٧٥ ٠

(٤) تطور الشعر العربي الحديث في مصر ص ١٣٦ ٠

العربى وهى كتجربة لم تكن ناجحة ، والسبب الرئيسي أن موضوعها كان واقعيا جامدا ، الا أن شوقى – على الأقل – قد أثبت أن الملحمة يمكن أن تكتب في اللغة العربية) .. لتبين لنا أن (أربرى) يأخذ على هـــذه الأرجوزة خلوها من الأمر الخارق الخيالى الذى تدور حوله الملاحم ، فوصفها بأنها « واقعية » كما أنها لا تدخل في باب الشعر الغنائى لجمودها وبعدها عن الأخيلة الجميلة .

ولما كانت هذه الأرجوزة بداية لمرحلة جديدة في الشعر العربى أثبتت مقدرة شوقى على كتابة أحداث التاريخ شعرا ، وأكدت اتساع مجال الشـعر العربى للأجناس الادبية كلها ، اذا ما وجد الشـــاعر المبدع والفنان الخلاق ، تجاوز (أربرى) في حكمه على هذه الأرجوزة وجعلها في عداد الملاحم ، وهذا ما قصدنا اليه من هذا التوضيح فسواء اعتبر النقاد ارجوزة «دول العرب وعظماء الاسلام» ملحمة ، أم عدوها وسطا بين الملحمة والشعر التعليمى ، فان ما يهمنا توضيحه في المقام الأول هو : أن شوقى بتطويعه الشعر لتسجيل التاريخ في فترات ممتدة ، وفي مئات من الأبيات في نفس ممتد ، وقريحة فياضـــة ، كان بداية جديدة في تاريخ الشـعر العربى في العصر الحديث ، وكانت أرجوزته عملا كبيرا في تجديد الشـعر وفتح الأبواب أمام الشـعراء ، وامداد الشـــاعر بطاقات كبيرة من المعـــانى والأفكار والأخيـــلة والحكم الأصـــيلة (١) .

٧ – وتاريخيات شوقى ومطولاته : قد تنوعت وتناولت الكثير من جوانب التاريخ الاسلامى والقومى (٢) ومطولته : (كبار الحوادث

---

(١) دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه ص ٦١ .

(٢) راجع تاريخيات شوقى ص ١٠٤ وما بعدها فى : تطور القصيدة الغنائية فى الشعر العربى الحديث للمؤلف – دار الفكر العربى بمصر ١٩٨٣ م

في وادى النيل) التى ألقاها في مؤتمر المستشرقين بجنيف سنة ١٨٩٦ (١) ومطلعها :

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء

من الأعمال الفنية الرائعة التى أظهرت عبقرية شوقى الشعرية ، وكانت صدى لاطلاعه على الآداب الفرنسية ، حيث اتجه فيها الى التاريخ يروى قصة مصر بكل ما عاشته من أحداث منذ الفراعنة حتى زمن القائها – كحفز للعزائم والهمم حتى يعمل أبناء مصر على استعادة أمجادهم ودورهم الحضارى القديم في صنع التاريخ – في صياغة محكمة ، وعلى روى واحد من الشعر دون تكلف أو افتعال .

يقول العقاد عن هذه القصيدة : (انها عمل مستقل المقصد ، مجتمع الأجزاء ، يصح أن ينفرد وحده في بابه كأنه شريط مسلسل من أشرطة الصور المتحركة يعرض للناظرين مواقف الدول والمناسك والأديان من أقدم عصور وادى النيل) (٢) . وهذه شهادة يعتز بها الأدب لأنها تصدر من ناقد عالم ، طالما هاجم شوقى وحمل عليه دون هوادة أو مهادنة ثم بعد أن تزول الأسباب ، وبقيت الحقيقة وحدها – وهى شاعرية شوقى – ينصفه العقاد من نفسه في أخريات أيامه ، مع أن هذه القصيدة من أوائل شعر شوقى أيام شبابه .

يقول « الدكتور عبد الرحمن عثمان » : معلقا على قول « الأستاذ

---

(١) الشوقيات ١/١ وعدد أبياتها تسعون ومائتا بيت .
(٢) من قول العقاد فى الكلمة التى اشترك بها فى مهرجان شوقى الذى أقامه المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، راجع مع العقاد ص ١١٩ .

العقاد » : (ولا زيادة لمستزيد في عبقرية « شوقى » وتجويده بعد هذا البيان الذى جرى به قلم الأستاذ العقاد ، فهو ذو تصرف وابتكار ، وهو يحسن – في طول نفس – العمل الشعرى الذى تضامت أجزاؤه تتآلف منه وحدة متماسكة ، وحسب أمير الشعراء تلك الشهادة فانها تفضل كل شهادة ، فقد اعترف له بالسبق من كان له عدوا بالأمس القريب)(١) •

٨ – وهناك بحث ممتع ، أرى من واجبى أن أعرض له ، ونحن في مجال الحديث عن الملحمة في أدبنا الحديث ، ففى حديث للدكتور عز الدين اسماعيل عن الملحمة ، نجده يعرفها بأنها : « شعر قصصي طويل » ويقسمها الى نوعين ظهر أحدهما بعد الآخر •

أما النوع الأول فهو الملحمة التاريخية ، ويمثل لها بملحمة « الالياذة » لهوميروس ، ومن أهم خصائصها : أنها ألفت لتنشد ، ولذلك كان المؤلف يبذل جهده لاثارة خيال السامع وتنشيطه •

والنوع الثانى هو الملحمة الأدبية : وهى لا ترتبط بالتاريخ ، ومؤلفها يكتبها تحت سيطرة فكرة خاصة به ، ولذلك كان عنصر الفكرة أساسي فيها ، فهى ألفت لتقرأ لا لتغنى كالملحمة التاريخية ، والتأثير فيها راجع الى الفكرة والى طريقة عرضها ، ومثل لها « بالفردوس المفقود » لملتن ، ثم قال : وهذا النوع الأدبى لم يوجد ولم توجد فكرته عند شاعر عربى معروف ، ثم استطرد في حديثه عن نوع آخر من الشعر يسمى (البالاد) وهو قصة أقصر من الملحمة وتحفظ وتنشد ، وهى تتناول مغامرة أو واقعة واحدة لقصة شعبية ، ويوحى أصل كلمة (ballad) بالرقص ، ومنها رقص «الباليه»

---

(١) فى الادب المعاصر ص ٥٨ •

المعروف • ومعنى هذا أن (البالاد) كانت قصة تنشد أو تغنى أثناء الرقص وعلى ايقاعه ولكنها في نماذجها الحديثة ، قد استقلت عن الرقص وعن الغناء على الســواء ، وهى أقرب الى أن تقوم بمهمة القصة القصيرة حين تتوجه الى موضوع شعبى •

وأضاف : أن هذا النوع من الشــعر ، قد أثبت بعض الدارسين وجود شبيه (١) له في الشعر العربى يتمثل في « شعر الصعاليك » في العصر الجاهلى و « شعر هذيل » ، وفي شعر « عمر بن ابى ربيعة » وغيرهم • كما أن هناك محاولات معاصرة لكتابة القصة القصيرة في الشعر العربى ، وان كانت القصة القصيرة في النثر قد تغلبت عليه ، واستحوذت على الميدان وحدها •

ثم خلص الى أنه لا حاجة بنا الى أن نشغل أنفسنا كثيرا بالشعر القصصي ، اذ ليس لنا تراث منه من جهة ، ولأنه لا يعيش بيننا الآن من جهة أخــرى •

ثم بعد أن أوضح أقسام الشــعر الغنائى في الأدب الأوربى ، أردف بقول: (ان نوعا جديدا منالقصيدة ظهر عند الشعراء الأوربيين في العصر الحديث وبدأ يحتل مكانا واضحا عند شعرائنا الشبان ممن يحملون لواء التجديد ، هذا النوع هــو القصيدة الطويلة) • وبعد أن عرض رأى بعض النقاد الغربيين فيما يميز القصــيدة الطويلة عن القصيدة الغنائية ، خلص الى أن القصيدة الطويلة نوع أدبى ، يعد تطورا للقصيدة الملحمية الأدبية والقصيدة الغنائية ، بعد أن تركت بدايتها العاطفية الصرف ، وتطــورت بتطور الحضــارة دخل فيها العنصر الفكرى •

---

(١) انظر : شعر البالاد ـ مقال لأحمد كمال زكى نشر بمجلة الثقافة العدد ٨٢٨ سنة ١٩٥٢ •

ففى القصيدة الطويلة تتجمع صفات الملحمة الأدبية ، مع فرق ملحوظ في الطول ، لأن الملحمة أطول – في العادة – ، وفيها كذلك تتجمع صفات القصيدة الغنائية الفكرية بصفة خاصة ٠

وفي النهاية يرى أنه بالرغم من انصراف بعض شعرائنا الى هذا النوع من القصائد ، الا أن الصعوبة تلازمهم ، حيث أنهم يحتاجون الى تغيير فلسفتهم الفنية تغييرا جوهريا حتى ينتقلوا من جماليات الشعر العربى الغنائى القديم الى جماليات « التجربة » ، و « الفكر الفعـال » وما يصـحب ذلك من تغـيرات جوهرية في « الاطـار » و « التكوين » (١) ٠

وقد عرضت لهذا البحث ، لأخلص منه الى أمرين هامين :

أولهما : أن محاولة الزام الأدب العربى بالسير في اتجاه الشعر الغربى ومقارنته به من حيث وجود الأجناس الشعرية التى تعارف عليها الأدب الغربى في شـعرنا العربى بمدلولها ومفهومها الفنى عنـدهم انما يعتبر ذلك مجافاة لواقع الأمم ، لاختلاف كل منهـا بتكوينها النفسي والعقلى والاعتقادى ، وبعد أن أوضح هذا البحث أن نوعا آخر من أنواع القصـيدة وهو : (البالاد) الذى يعمـد الى القصة فينظمها في قصيدة يغلب عليها عنصر الموسيقى التى تدفع الى الرقص أثناء الانشاد قد أوجدته العقلية الغربية واهتمت به ، يتأكد لنا أن لكل عقلية اتجاهها الأدبى ، وقد تلتقى مع غيرها فيما أنشأت وقد يفترقان ٠

---

(١) راجع الادب وفنونه للدكتور عز الدين اسماعيل ٠ دار الفكر العربى طبعة ٢ سنة ١٩٥٨ من ص ١٢٦ الى ص ١٣٣ ٠

وثانيهما : أن « القصـــيدة الطـويلة » بمفهـومها الفنى الذى أوضحه الدكتور عز الدين اســماعيل ، وتلاقى الملحمة مع القصيدة الغنائية داخل هذا الاطار الجديد للقصيدة ، انما هو واقع التطــور والتقدم العقلى والحضارى ، ويمكن أن نطلقه على كثير من المطولات التى ظهرت فى الأدب العربى الحديث كمطولة شوقى : (كبار الحوادث فى وادى النيل) ، و (دول العرب وعظماء الاسلام) ، و (عمرية حافظ) ، و (علوية عبد المطلب) ، ومطولة أحمد محرم (الالياذة الاسلامية) ومطولة كامل أمين (ملحمة عين جالوت) وغير ذلك من المطولات التى مزجت بين الفكرة والعاطفة فى تسلسل شعرى ذى وحدة لها مدلولها العام واتجاهها الفنى المتكامل ٠ لأن الشعراء فى انشائهم هذه المطولات ، لم يكن هدفهم اظهار براعة فنية أو افتنان فى صناعة لفظية ، وانما حرصوا على التعبير عن ذلك الفيض الزاخر من المعانى التى انبعثت فى نفسهم نتيجة « البعث الاسلامى » ، وتطور الحياة الفكرية فى عصرنا الحديث ، مما استدعى البسط والتفصيل : فكان طبيعيا أن يكثر المعـروض من انتـــاجهم الفكرى ، فكانت هـــذه المطـــولات (١) ٠

وبهذا المفهوم نجد مطولة شوقى البائية (صدى الحرب) التى يمدح فيها الخليفة (عبد الحميد) ويصـف شـــجاعة العثمانيين فى الوقائع العثمانية اليونانية ومطلعها :

بسيفك يعلو الحـــق والحـــق أغلب

وينصــــر دين اللــه أيان تضرب (٢)

وقد طالت هذه القصيدة ، حتى بلغت أبياتها ستين ومائتى بيت

---

(١) راجع الملحمة فى الشعر العربى ص ٤١ ، ٤٢ ٠

(٢) الشوقيات ١/٣٠

وشوقى في هذه القصيدة يعتز بانتصارات خليفة المسلمين ، ويعبر عن الآمال الكامنة في نفوس المسلمين جميعا ، وفي نفوس المصريين وزعيمهم (مصطفى كامل) وأميرهم (عباس) . فقد اتفق هوى الأمير والزعيم والجمهور ، وعمد شوقى الى قيثارته فغناهم جميعا هذه النغمة التى تطربهم وتهز أنفسهم (١) . واذا كان شوقى في هذه البائية يعارض المتنبى في بائيته التى مدح بها كافور ، ومطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

فان شوقى بصدر في هذه القصيدة عن عاطفة التقدير والاعتزاز للخلافة باعتبارها وجهة المسلمين ومعقد آمالهم في الوقوف أمام كل التيارات التى تهدد المسلمين وتفرق شملهم ، ولذلك « ينزل الخليفة من نفسه وشعره منزلة كبيرة ، ويكثر الالتفات اليه ... ويراه أمله في تحقيق وحدة المسلمين ورفعة شأنهم » (٢) .

يقول شوقى مشيدا بانتصار الخليفة على الأعداء وما يتصف به من صفات كريمة :

ظهرت (أمير المؤمنين) على العدا
ظهورا يسوء الحاسدين ويتعب
سل العصر والأيام والناس هل نبا
لرأيك فيهم أو لسيفك مضرب
هم ملئوا الدنيا جهاما وراءه
جهام من الاعوان أهذى وأكذب

---

(١) شوقى شاعر العصر الحديث ص ١٢٤ .
(٢) شوقى شعره الاسلامى ص ١٧٦ .

فلما استللت السيف أخلب برقهم
وما كنت يا برق المنية تخلب
أخذتهم لا مالكين لحوضهم
من الذود الا ما أطالوا وأسهبوا
ولم يتكلف قومك الاسد أهبة
ولكن خلقا في السباع التأهب
كذا الناس بالاخلاق يبقى صلاحهم
ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب
ومن شرف الاوطان أن لا يفوتها
حسام معز أو يراع مهذب (١)

وعلى هذا النحو من العاطفة الصادقة والتعبير عن جماهير الأمة الاسلامية تتابع أبيات شوقى موضحا فرحة المسلمين جميعهم بهذا النصر الذى تحقق في هذه الموقعة ، وتحقق معه آمال المسلمين جميعهم ، كما يعرض للبطولات التى ظهرت خلال هذه المعركة ، والموانع الطبيعية والصناعية التى عاقت الأعداء ، وكانت قلعة تحطمت عليها آمال الغازين .

يقول الدكتور (شوقى ضيف) : « فاذا نظرنا الى قصيدة شوقى (صدى الحرب) وجدنا الشاعر كثير الحديث عن نفسه ، فهو يصف لنا ما كان بينه وبين زينب بنى عثمان .. ثم يمدح الخليفة ويفخر بنفسه .. في آخر القصيدة .. واذا قرأنا القصيدة بعد ذلك نجدها « كدول العرب وعظماء الاسلام » مجرد سرد بعيد عن الروح القصصي تمتاز عن دول العرب وعظماء الاسلام بتفرقها الفنى (٢) .

ويقول أحمد حسن الزيات : « والواقع أن هاتين القصيدتين

(١) الشوقيات ٣٢/١ .
(٢) شوقى شعره الاسلامى ـ هامش ص ١٦٩ ، ١٧٠

تحتلان مركزا وسطا بين شعر الملاحم أو الشعر القصصي والشعر التعليمى » (١) ٠

مما يعود بنا الى تأكيد ما قررناه من قبل وهو أن هذه القصيدة كمثيلاتها السابقة احدى المطولات التى جمعت بين القصيدة الغنائية والملحمة ، وأصبحت هذه المطولات ظاهرة جديدة في أجناس القصيدة مما يتفق وخصائصها ومقوماتها الفنية ٠

(١) شوقى شعره الاسلامى ص١٧٠ وراجع فى أصول الأدب ص٦٧٦

شاعر البردة وفنه الشعرى

هو الشـــاعر المتصوف الزاهد شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن صنهاج بن هلال الصنهاجى ولد سنة ٦٠٨ هـ. بقرية (دلاص) التى كان منها أحد أبويه ، والآخر من (بوصـــير) وكلتاهما من قرى (بنى سويف) ولذلك ركبت له منهما نسبة فقيل (الدلاصيرى) الا أنه اشتهر بالبوصيرى نســـبة الى : (بوصير) . ولا يعرف من تاريخ حياته الأولى الا القليل ، ولعله عانى حرفة الكتابة والحساب ، مما هيأ لأحد مناصب الحكومة في مدينة (بلبيس) وكان كاتبا في الديوان الحكومى ، وباشر هذا العمل في مديرية الشرقية مدة ، وكان يلاقى من الكتـــاب العاملين معه جورا وعنتـــا وكانت تصرفاتهم لا ترضيه ، بل كان شديد السخط عليهم ، حيث أنهم كانوا - كما يذكر - يسرقون الغلال ، وأنهم لولا ذلك ما لبسوا الحرير وما شربوا الخمور ، كما يذكر أن طائفة من الكتاب الذين معه تنسكت وعدت من الزهاد مع أنها تملأ بطونها بالسحت . وتأكل مال الأيتام . ويذكر أن القضـــاة خانوا الأمانة وبرروا خيانتهم بتأويل القـــرآن والحديث ، وأن المسلمين والأقباط كانوا مختلفين ، فكان المسلمون يقولون : لنا بمصر حقـــوق ، ونحـــن أولى الآخـــذين ، وكان القبط يقولون : نحن ملوك مصر ، ومن سوانا هم الغاصبون ، وكان اليهود يستحلون مال الطوائف أجمعين ، وهذه الحالات جميعها قد ضـــمنها شـــعره ، مما يدل على اهتمامه بالمجتمع الذى يعيش فيه ووصـــفه ما فيه من ظواهر اجتماعية . ولكن هذه الأحوال الفاسدة قد أفقدته الثقة فيمن حوله ، وملأت نفسه بالحزن والاكتئاب ، فحمل على هذه المفاسد حملة شعواء ، وخاصة هؤلاء الموظفين الذين استغلوا تواضعه وحرموه من مرتبه حتى لحقه بؤس العيش وشظف الحياة ، وكان قد

اتصل بالشيخ «المرسي أبي العباس» امام الصوفية في الاسكندرية (١) فانتفع بصحبته ثم تنسك وتصوف ، وقد عالج الشعر منذ صغره وبدأ أثر اتجاهه الدينى في شعره واضحا ، فظهر الطابع الدينى فيه واضحا جليا ، يتجلى في قصائده الكثيرة التى مدح بها الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأشهر هذه القصائد (البردة) التى نالت شهرة واسعة في العالم الاسلامى ، وهى كذلك أجود شعر البوصيرى ، وأخذ الشعراء ينظمون في مدح الرسول تقليدا للبوصيرى ومحاكاة له ، فنظموا على وزن البردة (من بحر البسيط) وضمنوا كل بيت من أبيات قصائدهم نوعا من أنواع البديع ، ولذلك سميت قصائدهم (بالبديعيات) وكثيرا ما يشير الشاعر الى ذلك النوع في نفس البيت الذى يتضمنه ، وبذلك استحدث الشعراء هذا اللون في الشعر وهو فن (البديعيات) ٠

والبوصيرى وان اشتهر بقصيدة (البردة) فان له مدائح أخرى سواها في مدح النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أن له أشعارا في موضوعات اجتماعية متنوعة كموقفه من المستخدمين وانتقاده لهم ، الى جانب بعض مدح له فيمن اتصل بهم من رجالات عصره ، كالمنصور قلاوون ، والأمير فخر الدين أحد كبار الأمراء في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، الا أنه مع ذلك شاعر مقل وعلى الأخص في

---

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن على الخزرجى الأنصارى المرسى ٠ ولد بمرسية (احدى مدن الاندلس) سنة ٦١٦ هـ وقد نجا من الغرق مع أخيه وهما يحجان مع والديهما ، فقصدا تونس وتعرف الشيخ أبو العباس بالشيخ حسن الشاذلى ، فقربه الشيخ الشاذلى واختصه بأسراره ، ووفد الى مصر مع شيخه سنة ٦٤٢ هـ ثم استخلفه الامام الشاذلى سنة ٦٤٦هـ وكان أبو العباس فقيها مالكى المذهب تقيا ورعا ، وتوفى ودفن بالاسكندرية سنة ٦٥٦ هـ وقيل سنة ٦٥٨ ومسجده بالاسكندرية مشهور ٠

غير المديح النبوى . كما أن مدائحه أقلّ جودة من أسلوب البردة وانْ كانت الهمزية تلى البردة جودة ورقيا وسعة أغراض وكثرة معان .

أما قصائده الأخرى فقد سلك فيها مسلك شعراء عصره من عدم العناية بالتراكيب اللفظية والاهتمام باختيار الالفاظ والدقة في انتقاء الأساليب ، ولذلك دخلتها الكلمات والأساليب والأمثال العامية ، بل شاربتها الاخطاء اللغوية ، وصاحبتها الحلية البديعية ، ولكنها - من وجهة أخرى - تدل على شجاعة الرجل في ذلك العصر وقدرته على مواجهة خصومه وأعدائه ، كما أنها صورة حية للحياة في زمانه وما يعتورها من فساد بسبب الفقر والحاجة .

ولم يشتهر البوصيرى بغير الشعر على الرغم من أنه كان كاتبا ، واستخدم في الدواوين كاتبا ومتصرفا ولعلّ ذلك راجع الى سهولة نثره وقربه من الحديث المرسل الذى يتخاطب به الناس ، فكان نثرا سهلا لا تأنق فيــــه .

وقد ترك البوصيرى شعرا منثورا في الكتب ، ولم يهتم بجمعه في ديوانه ، وقد جمع أخيرا في ديوانه وحققه محمد سيد كيلانى ويقع في مائتى واثنتين وتسعين صفحة من القطع الكبير ، وطبعته مكتبـة الحلبى طبعة أولى سنة ١٩٥٥ م وثانية عام ١٩٧٣ م .

وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فذكروا أنها سنة ٦٩٤ هـ أو سنة ٦٩٥ هـ ، وقد دفن بالاسكندرية بالقرب من ضريح شـيخه المرسي أبى العباس .

البــــردة :

هى تلك القصيدة الشـــهيرة التى ابتكرها البوصيرى في مصر مدحا للرسول محمد صلى الله عليه وسلم بدافع من تعلقه الشـــديد

بالرسول العظيم . وتسمى (الكواكب الدرية في مدح خير البرية)
وعدد أبياتها مائة واثنان وثمانون بيتا جاءت على روى الميم ونظمت
على بحر البسيط وأولها :

أمن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وقد حدثنا البوصيرى عن سبب وضعه للبردة فقال :

(كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما كان اقترحه على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن صاحبنى فالج أبطل نصفى . ففكرت في عمل قصيدتى هذه فعملتها ، واستشفعت بها الى الله تعالى في أن يعافينى وكررت انشادها ودعوت ، وتوسلت ، ونمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فمسح وجهى بيده المباركة وألقى على بردة ، فانتبهت ووجدت في نهضة ، فقمت وخرجت من بيتى ، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا ، فلقينى بعض الفقراء فقال لى : أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أيها ، فقال : التىأنشأتها في مرضك وذكر أولها ، وقال : والله لقد سمعتها البارحة وهى تنشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت رسول الله يتمايل وأعجبته ، وألقى على من أنشدها بردة ، فأعطيته اياها ، وذكر الفقير ذلك وشاع المنام) (١) .

ومن الواضح أن موضوع الفالج وشفاء الشاعر منه اثر نظم هذه القصيدة ، ومسح الرسول وجه البوصيرى بيده الشريفة ، والقاء

---

(١) فوات الوفيات ٢/٢٥٦ طبعة بولاق . وراجع النص في ديوان البوصيرى ص ٨٤ ـ ٢٩٦ .

عليه بردة ، والقاءه بالفقير ، وأن هذا الفقير عرف أن البوصيرى نظم قصيدة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعها ، وأنه ألقى بردة على منشـدها • كل هـذه الأمور قد جعلت الكثير من الناس يقدسون هذه البردة وصاحبها ويتبركون بها ويتلونها في المواسـم والنوازل وعند الخطوب • وبالتالى دفع العديد من الشعراء الى أن ينهجوا نهج البوصيرى ، ويترسموا خطاه في بردته أملا في أن تكون لهم ما كان للبوصيرى أو بعض ما حظى به •

واذا كنا نتوقف عند كثير مما قيل في سبب انشاد هذه القصيدة ، ويتطلب الأمر منا وقفة نراجع فيها ما روى عن البوصيرى فاننا نذكر أن الدكتور زكى مبارك بعد أن رفض ما جاء في هذه القصة من شفاء البوصيرى من الفالج الذى أصـابه ، ووصـف البوصيرى بالطيبة والسذاجة كأكثر الصوفية ، اذ ليس من المعقول أن يبرأ مريض من مرضـه لآية يتلوها أو قصـيدة ينشـدها كما برىء البوصيرى بقصيدته (١) • فانه عاد وقرر أن البوصيرى صادق في رؤياه ؛ لأن قوة الايمان تؤثر أبلغ التأثير على الجسم ولا سيما اذا تذكرنا أنه لم يزد على أنه قال : انه وجد في جسمه نهضة ، وذلك أقل ما ينتظر لرجل مؤمن يرى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام ويسمع منه كلمات التشـجيع (٢) •

على كل حال فقد كان البوصيرى ببردته أول من فتح باب المدائح النبوية في العصر المملوكى ، ويعتبر بهذه المطولة أول من بسط القول في المدح النبوى وأطال فيه القصيد ، وتعتبر قصائد الكميت بن يزيد في مدح آل البيت النواة الأولى لهذا الفن الذى أكثر منه المولدون •

---

(١) راجع الموازنة بين الشعراء ط ٢ دار الكتاب العربى ص ١٧٨ والمدائح النبوية ص ١٧٩ •

(٢) راجع المدائح النبوية هامش ص ١٧٩ •

كما أن كعب بن زهير قد مدح الرسول في حياته بلاميته المشهورة التى يبدؤها بقـوله :

بانت سـعاد فقلبى اليـوم متبول
متيـم أثرها لـم يفـد مكبـول

كما مدحه الأعشي بداليته التى يقول فيها :

نبى يـرى مالا تـرون وذكـره
أغار لعمـرى في البـلاد وأنجدا

وهذه المدائح - وان سبقت مدائح البوصيرى - الا أنها تختلف عنها ، لأن المدح الذى جرى على لسان كعب والأعشي لا يزيد شيئا عن غيره من المدح الذى جرى في ذلك العهـد موجها الى الملوك . أما المدائح النبوية فتمتاز بعد شمائل النبى وسرد ما في الرسـالة من المحاسن الباقية ودفع ما وصم به الرسـول من النقائص والعيوب ، وهى فوق هذا كله تقال وتنشد تقربا الى الله (١) وهذا ما سار عليه البوصيرى واتجه اليه في قصيدته (البردة) .

فقد دارات معانيها بالترتيب على الوجه التالى : النسيب ثم التحذير من هوى النفس ، ثم مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم الكلام عن مولده ومعجزاته ، والحديث عن القـرآن الكريم والاسراء والمعراج والجهاد ، ثم انتهت القصيدة بالتوسل والمناجاة .

والقصيدة تبدأ - كما ذكرت - بالنسيب حيث يقول البوصيرى:

أمن تذكر جـيران بذى سـلم
مزجت دمعـا جرى من مقلة بدم (١)

---

(١) الموازنة بين الشعراء لزكى مبارك ص ١٧٧ .
(٢) ذى سلم : موضع بين مكة والمدينة .

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من اضم (١)
فما لعينيك ان قلت اكففا همتا
وما لقلبك ان قلت استفق يهم (٢)
أيحسب الصب أن الحب منكتم
ما بين منسجم منه ومضطرم (٣)
لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل
ولا أرقت لذكر البان والعلم (٤)

ومن يقرأ هذه الأبيات ، ويقرأ ميمية ابن الفارض والتى يبدؤها بقوله :

هل نار ليلى بدت ليلا بذى سلم
أم بارق لاح في الزوراء فالعلم

يجد التشابه الواضح بين المطلعين ، وتأثر البوصيرى واستئناسه بميمية ابن الفارض ، فالوزن والقافية وأسماء الأماكن عند الشاعرين واحد ، كذلك نجد بعض المعانى قد تكررت وتشابهت عند البوصيرى ، فابن الفارض يقول :

---

(١) كاظمة : اسم طريق الى مكة اضم ، كعنب اسم جبل وقيل : اسم واد بقرب المدينة أو للوادى الذى به المدينة .
(٢) همتا : سال دمعهما ، يهم : لم يدر اين هو من الهيام وهو الجنون من العشق .
(٣) الصب : العاشق ، مكتتم : مستور يخفى على أهل العلم به .
(٤) البان : جمع بانه نوع من الشجر ، والعلم بفتح اللام الجبل ويراد بالبان والعلم موضعان بالحجاز ، والأبيات من ديوان البوصيرى ص ٢٣٨ .

يالائما لا منى في حبهم سفها
كف الملام فلو أحببت لم تلم

والبوصيرى يقول :

يا لائمى في الهوى العذرى معذرة
منى أليك ولو أنصفت لم تلم

وكذا قال ابن الفارض :

طوعا لقاض أتى في حكمه عجبا
أفتى بسفك دمى في الحل والحرم
أصم لم يسمع الشكوى وأبكم لم
يحر جوابا وعن حال المشوق عمى

قال البوصيرى :

عدتك حالى لا سرى بمستتر
عن الوشاة ولا دائى بمنحسم
محضتنى النصح لكن لست أسمعه
ان المحب عن العذال في صمم

ويتحدث البوصيرى في مطولته المدحية عن الاسراء فيقول :

يا خير من يمم العافون ساحته
سعيا وفوق متون الأينق الرسم (١)
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر
ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

(١) الأينق : النياق ، الرسم : التى ترسم الأرض أى تعلمها •

سريت من حرم ليلا الى حرم
كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى الى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم (١)
وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم
وأنت تخترق السبع الطباق بهم
في موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى اذا لم تدع شأوا لمستبق
من الدنو ولا مرقى لمستنم (٢)
خفضت كل مقام بالاضافة اذ
نوديت بالرفع مثل المفرد العلم (٣)

وفي البيت الأخير نجد البوصيرى قد لجأ الى التورية التى هى من بصمات هذا العصر ، وأدخل في البيت المفاهيم النحوية واللغوية التى كان يحلو للشعراء في عصره أن يزينوا بها قصائدهم دون أن يدروا أنها قيود تغل الأفكار وتتجه بالشعر الى مهاوى الانحدار والضعف ٠

وأيا ما كان الأمر ، فان هذه القصيدة قد نالت شهرة واسعة في العالم الاسلامى فشطرت حينا ، وخمست حينا وسبعت حينا آخر ، وترجمت الى الفرنسية والألمانية والانجليزية ، وأثرت في جمهور

---

(١) لم ترم : لم تطلب ٠ والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نال منزلة قريبة من رب العزة لم يصل اليها ولم يطلبها أحد لعزة مكانها

(٢) مستنم : طالب رفعة ٠

(٣) ديوان البوصيرى ص ٢٤٥ ٠

المسلمين تأثيرا كبيرا ، فحفظها الناس ورووها وحفظوها لأبنائهم وأحفادهم ، وقرءوها في المناسبات المفرحة والمحزنة ، وأثرت في حركة التأليف فكثر شارحوها والمعلقون عليها ، وانطلق الشعراء في تقليدها ومعارضتها ، ولكنهم – في الواقع – لم يصلوا الى ما وصل اليه البوصيرى ولم يوفقوا الى الاجادة ، بل اتجهوا الى المحسنات البديعية ، وحشوا شعرهم بها حشوا ، فاستحدثوا بذلك في الأدب فنا جديدا يسمى (البديعيات) وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن كل بيت من أبياتها يشير الى لون من ألوان البديع كما تكون على وزن « البسيط » وهو البحر الذى نظمت عليه البردة ٠

وأول من اتجه الى فن البديعيات أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن جابر الاندلسي (٦٩٨ – ٧٨٠ هـ) وكان ضريرا ، رحل من الأندلس الى مصر والشام واستوطن حلب ، ثم عاد الى الأندلس وتوفي بها ، وكان قد افتتن بقصيدة البوصيرى وظهر أثرها في شعره بعد أن شغل نفسه بمعارضتها ، فنظم بديعية مطلعها :

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم   وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم

ثم وضع صفى الدين الحلى المتوفي سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) بديعيته المسماة «الكافية البديعية في المدائح النبوية» ، ومطلعها :

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم
واقر السلام على عرب بذى سلم

وقد جاء في تقديم هذه البديعية وسبب نظمها أن صفى الدين الحلى أراد أن يؤلف كتابا يحيط بجل أنواع البديع ، فعرته علة طالت مدتها واشتدت شدتها ، فاتفق أن رأى في منامه رسالة من

النبى صلى الله عليه وسلم يتقاضاه المدح ويعده بالبرء من سقمه ، فعدل عن تأليف ذلك الكتاب الى نظم قصيدة تجمع أشتات البديع ، وتتطرز بمدح مجده الرفيع ... (١) .

وكأنه بهذه المقدمة يوحى الى القارىء بأن بديعيته قد تشابهت مع بردة البوصيرى من حيث الدافع اليها والاتصال الروحى بالذات المحمدية ، والبرء على يديه الكريمتين .

٢ ثم جاء عز الدين الموصلى المتوفي سنة ٧٨٩ هـ ، ونظم بديعية أسماها « الترسل بالبديع الى التوسل بالشفيع » ، ومطلعها :

براعة تستهل الدمع في العلم عبارة عن نداء المفرد العلم

٣ ثم تلاه ابن حجة الحموى (٧٦٧ – ٨٣٧ هـ) فنظم بديعية أولها :

لى في ابتدا مدحكم يا عرب ذى سلم براعة تستهل الدمع في العلم

وقد ضمن بيته شطرا من مطلع قصيدة عز الدين الموصلى امعانا في التقليد .

٥ ثم جاء ابن المقرى (المتوفي ٨٣٧ هـ) وأنشأ بديعية أسماها (الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة للمعانى الرائعة) .

٦ ثم جاء السيوطى فعارض ابن حجة ببديعية أسماها : نظم البديع في مدح خير شفيع ، ومطلعها :

من العقيق ومن تذكار ذى سلم براعة العين في استهلالها بدم

---

(١) راجع ديوان الحلى ص ٦٨٥ طبع صادر بيروت .

واندفع الناس في تقليد (البردة) والنظم في هذا الفن (البديعيات) حتى اذا كان العصر الحديث ، وجدنا البارودى يعارض البردة بمطولة بلغ عدد أبياتها اربعمائة وسبعة وأربعين بيتا سماها : (كشف الغمة في مدح سيد الأمة) . ومطلعها :

يا رائد البرق يمم دارة العلم   واحد الغمام الى حى بذى سلم

كما نظم أحمد شوقى قصيدته : (نهج البردة) والتى تبدأ بقوله :

ريم على القاع بين البان والعلم   أحل سفك دمى في الأشهر الحرم (١)

ومن ذلك نرى أهمية البردة وأثرها في اللغة والأدب ، وان كان الفرق بين أصحاب البديعيات وغيرهم كالبوصيرى وشوقى أن البوصيرى وغيره قد شغلوا أنفسهم بالمعانى والعواطف والمشاعر الدينية ، بينما التزم الآخرون في كل بيت من قصائدهم أحدا لمحسنات البديعية من جناس وتورية وبراعة استهلال ونحوها ، وأسرف معظمهم على نفسه ، فلم يكتف بذلك ، بل ألزم نفسه بأن يشتمل البيت أيضا على اسم ذلك اللون البديعى وفي هذا اسراف في الصنعة وغلو في الزخرفة اللفظية ، مما بعد بالشعر عن مفهومه وجعله متونا ورموزا معقدة ، وصورا مشوهة ، وقوالب جامدة من البديع والألفاظ المرصوفة .

وللبوصيرى قصائد اخرى في مدح الرسول منها همزيته التى

---

(١) قالها شوقى سنة ١٩١٠ م وقد بلغت مائة وتسعين بيتا ، راجعها فى الشوقيات ١/ ٢٤٠ وما بعدها – مطبعة مصر .

يبدؤها بقـــوله :

كيف ترقى رقيك الأنبيــاء   ياسماء ما طاولتها سـماء

وقد بلغت هذه القصيدة ، أربعمائة وستين بيتا ، وقد عارضها شوقى أيضا بهمزيته المشهورة .

كذلك فقد عارض البوصيرى قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير ، بقصيدة مطلعها :

الى متى أنت باللذات مشغول   وأنت عن كل ما قدمت مسئول

٢ ـ ومن النماذج الأخرى ـ غير المدائح النبوية ـ ما قاله في نقد الأعمال الحكومية والموظفين الذين اتصل بهم في عمله بمحافظـــة الشرقية ، ولم يكن راضيا عن تصرفاتهم ، بل كان شـديد السخط عليهم ، حتى أنه لم يخل واحدا منهم من سخطه لأنه يراهم نكبـة على البلاد ، حيث أحالوها الى جحيم وشقاء . يقول في ذلك :

أرى المستخدمين مشوا جميعا
على غير الصراط المستقيم
معاشر لو ولواجنات عـــدن
لصـــارت منهمو نار الجحيم
فما من بلـــدة الا ومنهم
عليها كل شـــيطان رجيم
فلو كان النجوم لهم رجوما
اذا خلت السماء من النجوم (١)

---

(١) ديوان البوصيرى ص ٢٥٥ .

وفي قصيدة أخرى يشرح كثيرا مما يأخذه على هؤلاء الموظفين ، ويبين أهم ما أسخطه عليهم جميعا ، وهو انصرافهم الى المال وجمعه انصرافا شغلهم عن واجبهم ، وجعلهم يتكالبون على جمع المال والثروة من غير طرقهما المشروعة .

ولم يخل من سخطه جماعة الكتاب ولا القضاة ولا الفقهاء ولا جماعة النظار ، فكلهم سواء أمام المال والسعي في الحصول عليه :

ثكلت طوائف المستخدمينا
فلم أر فيهمو رجلا أمينا
فقد عاشرتهم ولبثت فيهم
مع التجريب من عمري ستينا
حوت بلبيس طائفة لصوصا
عدلت بواحد منهم مئينا
وكيف يلام فساق النصارى
اذا خانت عدول المسلمينا
تحيلت القضاة فخان كل
أمانته ، وسموه الأمينا
وكم جعل الفقيه العدل ظلما (وصير) باطلا حقا مبينا
وما أخشى على أموال مصر
سوى من معشر يتأولونا
فلا تقبل من النواب عذرا
ولا النظار فيما يمهلونا
تورع معشر منهم وعدوا
من الزهاد والمتورعينا
وقيل لهم دعاء مستجاب
وقد ملئوا من السحت البطونا

ومن ألف الخيـــانة كيف يرجى
له أن يحفظ اللص الخئونا (١)

فهـــذه ومضات نقدية لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية لدى بعض طوائف الشعب ، وهى – في نفس الوقت – تكشف عن صورة هذا العصر وحياته الاجتماعية التى انحرف فيها الكثير ، وحادوا عن الطريق المستقيم نتيجة الضرائب الباهظة والجبايات العديدة التى فرضها الحكام المماليك ، فشاع الفساد وعمت الفوضى ، وانتشرت السرقات والاعتداءات على الأموال العامة والخاصة .

٣ – وللبوصيرى شعر تهكمى ، أجاد في معظمه ، ومن ذلك ما رواه تقى الدين بن سيد الناس من أنه كانت له حمارة استعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته فأخذها ، وجهز له ثمنها مائتى درهم . فكتب على لسانها الى الناظر : المملوكة حمارة البوصيرى تنشد :

يأيهـــا السـيد الذى شهدت
ألفـــاظه لى بأنه فاضـــل
حاشاك من أن أجوع في بلد
وأنت بالرزق فيـــه لى كافل
ألم تكن قد أخذت عـــارية
من شرطها أن ترد في العاجل
وكان عزمى عند الوصول بكم
أجمل من أساق للحاصـــل
ما كان مثلى يعـيره أحـــد
قط ولـكن ســيدى جاهـل
لو جرسوه عـــلى من سفه
لقلت غيظا عليه يستاهل

---

(١) الأبيات فى الصفحات من ٢٦٦ : ٢٧٠

طال بى شـوق الى وطنى
والشـوق داء ـ لاذقته ـ قاتل
وبغيتى أن أكون سـائبة
من بلدى في جوانب الساحل
لا تطمعوا أن أكون عندكم
فذاك ما لايرومه العـاقل
وبعـد هـذا فما يحل لكم
ملكى فانى من سيدى حامل (١)

فلما قرأ الناظر هذه الأبيات ردها عليه ، ولم يأخذ الدراهم ٠

٤ – ومن أشعاره القوية ، تلك القصائد التى كان يرد بها على ادعاءات النصارى واليهود ، وما كانوا يلصقونه بعيسي من صفات ، كادعائهم بألوهياته أو صلبه ، وما كانوا ينكرونه من بعثة محمـد صلى الله عليه وسلم ٠

يقول البوصيرى : لما رأيت كتب النصـارى واليهـود الآن مشحونة بما ينكرونه من بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيها القول بخلاف ما يدعونه من ألوهيتة المسيح ، ومن صـلبه ، واثبات رسالته الى النصارى واليهود ، وما لا يخفى ، تعـرضت في هـذه القصيدة الى ذكر ما سهل نظمه من ذلك ، وأردت أن أورد تحت كل أبيات منها ما أشارت اليه من النصوص التى لا يسـتطيع النظم ذكـرها (٢) ٠

ومضي البوصيرى يورد أقوال التوراة والانجيل ما يرد به علي الطائفتين ٠

---

(١) ديوان البوصيرى ص ٢٣٧ ، وحرف الروى لام ساكنة ٠
(٢) ديوان البوصيرى ص ١٧٦ ٠

ويورد من هذه القصيدة جزءا جزءا شارحا كل جزء .

يقول البوصيرى بادئا هذه القصيدة الطويلة ، والتى يرد بها على النصارى واليهود ، وقد شرحها في ديوانه لأن ما فيها من أفكار يحتاج الى شرح وايضاح ، كما يذكر البوصيرى :

جاء المسيح من الاله رسولا
فأبى أقل العالمين عقولا
قوم رأوا بشرا كريما فادعوا
من جهلهم لله فيه حلولا
وعصابة ما صدقته وأكثرت
بالافك والبهتان فيه القيلا
فكأنما جاء المسيح اليهم
ليكذبوا التوراة والانجيلا
فاعجب لأمته التى قد صيرت
تنويهها بالههها التنكيلا
هم بجلوه بباطل ، فابتزه
أعداؤه بالباطل التبجيلا
وتقطعوا أمر العقائد بينهم
زمرا ألم تر عقدها محلولا(١)

ومن هذه النماذج نرى أن البوصيرى كان شاعر المدائح النبوية التى حلق بها في سماء الروحانيات وصورت شعور صاحبها نحو المقام الكريم مقام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت هذه المدائح فتحا جديدا لم يطرقه شاعر قبل البوصيرى ، وفتحت الباب للشعراء بعده فاتجهوا فيه اتجاهات شتى .

---

(١) ديوان البوصيرى ص ١٧٦ .

كما كان البوصيرى صورة صادقة لعصره ، وما كان يضطرب فيه من مشاكل وصراعات ٠

وكانت مدائحه نماذج فنية رائعة تمثل اجود شعره وأصفاه ، ويأتى بعدها شعره في الأغراض الاخرى من حيث المتانة والجودة وقوة الصياغة ، كما يدل شعره التهكمى والنقدى على نفسية حساسة لطيفة العشرة غير متزمتة ، على الرغم مما أخذ به نفسه من التصوف والزهد ٠

العالم الأديب : « جلال الدين السيوطى » (٨٤٩ - ٩٦٦ هـ)

هو جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد،ويتصل نسبه بالشيخ همام الدين الخضيرى السيوطى .

ولد جلال الدين السيوطى في أسيوط في مستهل رجب سنة ٨٤٩هـ من أبوين مصريين الا أن نسب أبيه يتصل بأصل فارسي ، ونسب امه يتصل بالجنس التركى . وقد مات أبوه وسنه خمس سنوات وسبعة أشهر ، وقد ترجم السيوطى لنفسه في كتابه (حسن المحاضرة) .

كان السيوطى ذكيا ، قوى الحافظة ، فقد حفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة من عمره ثم تفقه بعلوم عصره . وحفظ « العمدة » ، و « منهاج الفقه » ، و « الفية بن مالك » ثم تابع الدرس والتحصيل، ووفد على القاهرة و تتلمذ لكثير من الشيوخ ، وقد بلغ عددهم - كما يذكر في حسن المحاضرة - مائة وخمسين شيخا في كل فن وعلم .

وقد أولع السيوطى بالرحلة والطواف بالبلاد الاسلامية ، فأكسبه ذلك خبرة فوق خبرته ، فزار الحجاز واليمن والهند والمغرب، وقد شرع في التأليف وهو في السابعة عشرة من عمره واستمر في ذلك حتى وفاته سنة ٩١١ هـ . ومن الاطلاع على ترجمته التى كتبها لنفسه في كتابه « حسن المحاضرة » ، يفهم أنه لم يحسن الانشاء والترسل ، كما كان يحسن الفقه والحديث والتفسير وعلوم العربية. الا أن مؤلفاته العديدة تشهد له بطول الباع في الكتابة الادبية الى جانب كتابته العلمية التى تتسم بالسهولة واليسر والوضوح ، والبعد عن التكلف الا في القليل منها .

والسيوطى تبحر تبحرا واسعا في سبعة علوم هى : الفقه والنحو ، والتفسير ، والحديث ، والمعانى ، والبيان ، والبديع . ويأتى بعد هذه العلوم في الدرجة الثانية من التبحر أصول الفقه والجدل والتصريف ، والانشاء والترسل والفرائض والقراءات والطب والحساب . وكان الحساب أعسر العلوم وأدقها عليه ، وأبعدها عن ذهنه - كما يقول في ترجمته - وقد بلغت مؤلفاته أكثر من ثلاثمائة كتاب ورسالة ، ذكرها في ترجمته فاستغرق ذكرها سبع صفحات . منها ٢٣ مؤلفا في التفسير ومتعلقاته ، و ٩٥ في الحديث ، و ٢١ في اللغة ، و ٤٢ في الأجزاء المفردة ، و ٣٥ في العلوم العربية ، و ٢١ في الأصول والبيان والتصوف ، ٥٠ كتابا في التاريخ والأدب ، وغير ذلك . وأكثر هذه المؤلفات لا يزال باقيا وموجودا في المكتبات العامة والخاصة بين مطبوع ومخطوط . وذكر بعضهم أن مؤلفاته أربت على الخمسمائة مؤلف (١) .

وقد وقع بين السيوطى وبين بعض معاصريه - وعلى الأخص شمس الدين السخاوى - ما يقع بين الأنداد والمتعاصرين . فقد عابه السخاوى في كتابه « الضوء اللامع » ونسب اليه سرقة بعض المؤلفات ، ونسبتها لنفسه ، وزيف الكثير من علمه ومزاعمه . وقد سفهه السيوطى ، ورد عليه ردودا قاسية في رسالته « الكاوى في الرد على السخاوى » .

ومن مؤلفات السيوطى :

١ - المزدهر في علوم اللغة :

وهو أهم كتبه اللغوية ويقع في جزءين في الحجم المتوسط : الجزء الاول : يبحث في ألفاظ اللغة ، وأصلها ، وصحيحها ، ومتواترها ،

---

(١) راجع المفصل ٢/٢٦٣ مطبعة مصر سنة ١٩٣٤.

والمرسل والمنقطع ، ومعرفة الفصيح والمصنوع ، وخصائص اللغـة واشتقاقها ، والمشترك والأضداد ، واحكام القلب والابدال وما الى ذلك • والثانى : في أوزان الكلام وأبنية الأفعال وضوابط واستثناءات في الابنية مما يندر وروده • وفيه فصول في معرفة أحكام الرواية ، والأنساب والمواليد ، وأغلاط العرب وغير ذلك • وهو مرجع أسـاسي في فقه اللغة وفلسفتها لا يستغنى عنه أى باحث في هذا المجال •

٢ ـ الاشــباه والنظائر النحوية :

وقد رتبه على سبعة فنون كل فن له مقدمة مستقلة كأنه سبعة كتب •

٣ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة :

في مجلدين ، ويشتمل الأول على أخبار مصر من قديم عهـدها الى زمن الفراعنة ، وما قيل في الأهرام والاسكندرية وفتح مصر ، ومن دخل مصر من الصحابة والتابعين ••• والجزء الثانى في أمراء مصر منذ فتحت الى أيامه ، وأبحاث في الفرق بين الخلافة والملك والسلطة ، وأهم جوامع مصر ومدارسها •

٤ ـ « مقــامات » :

وقد بلغت نحو أربعين مقامة • منها المطبوع ، ومنها المخطوط ، ومقاماته طريقة الموضوع ، فقد حرص على ابتداع موضوعاتها مما لم يسـبقه أحد اليها • فله المقامة « الوردية » ، و « الزمردية » ، و « الفسـتقية » ، ومقامة « النسـاء » والمقـامة « المكيـة » ، و « الجيزية » وهى تدل على علمه وشمول معرفته وطرافة أدبه • وقد اتبع في أسلوب هذه المقامات النهج البديعى ، فحرص على السجع ،

وان كانت فقراتها قصيرة يندر فيها الطول ، وكثير منها متوافقة في عدد ألفاظها ، فضــلا عن تجانس مفرداتها أحيـانا ، وعربيتها فصيحة لا عامية فيها ، واضحة المعانى يزينها الطباق أو الجنـاس أو الاقتباس ، وتجملها أبيات من الشـــعر وتتناثر بين أبيــاتها التوريات والابهامات والألغاز .

٥ - تفســير الجــلالين :

وهو من أهم التفاسير المعول عليها ، وهو مطبوع عدة طبعات (١)

ومن هذا نرى أن السيوطى يعتبر من أبرز كتاب هــذا العصر بمؤلفاته العديدة التى اتجهت الى العديد من العلوم والفنون ، وكانت كتاباته لا تتقيد بقيود البديع والصنعة مما غلب على كتاب عصره ، وخاصــة في كتبه التاريخية . ومع ذلك فله بعض فصـول من الكتابة الأدبية - كالمقامات - حــذا فيها حذو كتاب عصره من استخدام البــديع .

أما عن شعره فان له شعرا منثورا في ثنايا مؤلفــاته أكثره في الرثاء . ولا نستطيع أن نرقى به الى مصاف الشعراء لان هـــذا الشعر تظهر عليه سمات العلم والتكلف . ومن نماذج شعره قوله في رثاء الشيخ أمين الدين الأقصر يحيى بن محمد شيخ الحنفيــة في زمانه وهو آخر شيوخه (٢) :

---

(١) منها طبعة فاخرة للمصحف الشريف من القطع الكبير فى ٨١٧ صفحة وبهامشه تفسير الجلالين ، وذيل باسباب النزول للسيوطى أيضا أخرجته مطبعة العلوم الدينية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

(٢) من كتاب حسن المحاضرة ١/٢٢٧

مات سيف الدين منفـــــردا
وغـــدا في اللحـــد منعمـــدا
عـــالم الدنيـــا وصـــالحها
لم تـــزل أحـــواله رشـــدا
فابكه ديـــن النبـــى اذا
ما أتـــاه ملحـــد كمـــدا
انمـــا يبـــكى عـــلى رجـــل
قد غـــدا في الخـــير معتمـــدا
لم يـــكن في دينـــه وهـــن
لا ، ولا للكبـــر منـــه ردا
عمـــــره أفنـــاه في نصب
لالـــه العـــرش مجتهـــدا

ومن نماذجه في كتابته نعرض بداية مقدمة كتاب المزهر : يقول السيوطى في هذه المقدمة « الحمد لله خالق الألسن واللغات ، واضع الألفاظ للمعانى بحسب ما اقتضته حكمه البالغات ، الذى علم آدم الأسماء كلها ، وأظهر بذلك شرف اللغة وفضلها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الخلق لسانا ، وأعربهم بيانا ، وعلى آله وصحبه أكرم بهم أنصارا وأعوانا ، هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترعت تنويعه وتبويبه ، وذلك في علوم اللغة وأنواعها ، وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع ، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الابداع ، وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ، ويعتنى في بيانها بتمهيد المسالك ، غير أن هذا المجموع لم يسبقنى اليه سابق ، ولا طرق سبيله قبلى طارق ، وقد سميته « المزهر في علوم اللغة » ،

ومن قراءتنا للنصين السابقين يتضح الفرق جليا بين لغة الشعر ولغة النثر ، وما في الاسلوبين من بون شاسع • حيث نجد تمكن السيوطى من أدوات اللغة والقدرة على التعبير واحكام الصياغة في كتابته – بينما نجد الكلمات تكاد تفقد قدرتها على الايضاح والتعبير في النظم ، وتثقل الكلمات في معناها ومبناها وكأنها عجوز شمطاء لا تكاد تبين •

اللغة العربية : نشأتها ، وتدوينها ، ومقياس فصاحتها :

عرف المجتمع الانسانى اللغة في أقدم صورها ، ومارس الانسان اللغة آلاف السنين قبل أن يفكر في طبيعتها ، أو يفكر في وظيفتها تفكيرا علميا : أو يضعها في خدمة تفكيره .

ومع تقدم الحضارة الانسانية ، أصبحت اللغة هى الأداة الحضارية التى يسيطر بها الانسان على سائر القوى المختلفة في الكون ، ويتعامل بها معها ، وبذلك أصبح كل شيء في الحياة ذا علاقة باللغة . له فيها رمز وتسمية ، بحيث لا يمكن للانسان أن يمارس علاقاته دون استحضار رموزها اللغوية ؛ ومن هنا كانت حركة التفكير في الانسان ذات ارتباط وثيق باللغة ، بل ان الانسان لا يستطيع أن يفكر الا اذا صاغ عناصر فكره في قوالب لغوية ، وترجمها الى رموز كلامية .

وتاريخ اللغة العربية تاريخ بعيد ، يرجع الى ما قبل ميلاد المسيح بقرون كثيرة ، حتى لقد ذهب الأستاذ العقاد (١) الى أن الثقافة العربية أقدم وأسبق من ثقافة اليونان والعبريين . ويقرر أنه قد مضي على العرب أكثر من ألفى سنة وهم معروفون بهذا الاسم الذى يطلقونه على أنفسهم ، ويطلقه عليهم غيرهم ، وقد كانوا من

---

(١) الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ـ المكتبة الثقافية (١) ص ٩ ومابعدها

قبل ذلك أيضا بقرون ، ثم يقول : « ولا خلاف كذلك في قدم اللسان العربى فيها ولا في أنه أقدم لسان يتكلم به سكانها الأقدمون ، ولم يعرف لهم لسان قبله مخالف له في أصوله وخصائصه التى تميز بها بين اللغات العالمية » • ثم تساءل : أكان المتكلمون بهذا اللسان قبل ثلاثين قرنا مقيمين بالجزيرة العربية ، أم كانوا مقيمين في موطن آخر ثم هاجروا اليها ؟

فاستعمال العربية – في رأى العقاد – كان على ألسنة أهلها منذ أكثر من ثلاثين قرنا ، غير أنه يقرر بعد ذلك أن عربية ذلك الزمان السحيق لم تكن عربية اليوم ، وهو أمر طبيعى ، ولكنها كانت في صورة لغة أخرى هى (الآرامية) التى كانت عربية تلك الأيام في موطنها ، وأنها قريبة جدا من اللغة العربية الفصحى بعد تطورها بنحو ثلاثة آلاف سنة • ثم يختم حديثه بقوله : « وجملة القول أن الثقافة الآرامية عربية في لغتها ونشأتها ونسبتها الى عنصرها ، ولا يمكن أن تعرف لها نسبة الى أمة غير الأمة العربية في عهودها الأولى ، فكل ما استفاده العالم من جانبها فهو من فضل هذه الأمة على الثقافة العالمية (١) •

ويؤكد المستشرقون أن اللغة العربية المألوفة لنا قد احتفظت بعناصر قديمة ترجع الى السامية الأم ، أكثر مما احتفظت به الساميات الأخريات ، ففيها من الأصوات ما ليس في غيرها من اللغات السامية ، منها ظاهرة الاعراب ونظامه الكامل ، وفيها صيغ كثيرة لجموع التكسير ، وغير ذلك من ظواهر لغوية ، يؤكد لنا الدارسون

---

(١) الثقافة العربية أسبق •• ص ٢٠

أنها كانت سائدة في السامية الأولى التى انحدرت منها كل اللغات السامية المعرفة لنا الآن ٠

ولعل التفسير الواضح لندرة النصوص العربية التى يمكن أن ترجع الى ما قبل ظهور المسيحية ، هو شيوع الأمية في شبه الجزيرة ، وأن العرب قبل الاسلام لم يكونوا أهل قراءة وكتابة ٠ الا أن هذا لا يمنعنا من أن نؤكد أن اللغة العربية كسائر لغات البشر ذات طفولة استمرت عدة قرون الى أن شبت عن الطوق فكانت هذه اللغة المتانية الراقية التى تتمثل في لغة الشعر الجاهلى ، والتى لا تكاد تجاوز قرنين من الزمان قبل الاسلام ٠

وليس من المعقول أن نعتبر الشعر الجاهلى هو البداية الحقيقية لهذه اللغة ، فليس من سنن الله في تكوين اللغات أن تكون في منشئها على هذا النسق الرفيع وذلك النضج المكتمل ، وانما الطبيعى أن لغة الجاهلى قد مرت خلال أحقاب تاريخية طويلة بمراحل تطورية هائلة ، تم خلالها صقلها على هذه الصورة المستوية فاكتمل لاصحاب اللغة ذلك المستوى الراقى من القدرة على البيان ، فصاغوه نثرا في خطبهم ، وشعرا في قصائدهم ٠

وهكذا نجد أنفسنا في عماية وغموض أمام طفولة هذه اللغة أو التعرف على شيء – ولو قليل – من أولياتها ٠ ولذلك يحاول كثير من الدارسين بذل الكثير من الجهد المضاعف كى يتمكنوا عن طريق الدراسة المقارنة للغات السامية ونصوصها التى انحدرت الينا ، من الوصول ولو الى جزء من نشأة هذه اللغة والمراحل التى مرت بها ، وان لم يصلو الى نتائج واضحة عن بداية اللغة العربية وما مرت به من مراحل قبل أن تكون لغة أبناء العصر الجاهلى الذى يرجع الى ما قبل البعثة المحمدية بما يقرب من مائتى عام ٠

واذا كان من الثابت تاريخيا أن العرب كانوا أمة متفرقة الى قبائل ، وأن هذه القبائل قد حدث بينها صراع هائل خلال قرون طويلة وشبت بينها حروب استمرت أحيانا الى مائة عام ، فان انعزال القبائل بعضها عن البعض ، واستمساكهم بنظمهم وتقاليدهم قد أدى الى نشأة اللهجات العربية القديمة التى روت لنا كتب الأدب والتاريخ طرفا منها ، ثم أخذت هذه اللهجات تتطور داخل تلك القبائل ، غير أن حياة القبائل لم تكن دائما مستقرة ، اذ أن منها من توفرت له أسباب الاستقرار ، ومنها من لم يتحقق له ذلك .

ومن الطبيعى أن تبطىء حركة تطور اللغة في هذا الوسط عنها في الوسط الآخر غير المستقر ، حيث يلاحظ أنه كلما توثقت الصلة بين أفراد القبيلة يكون التغيير بطيئا وان كان ينمو مع الزمن بعكس ما اذا كان هناك غارات وتفرقة بين المرء وأهله مما يساعد على نمو اللغة وتطورها .

فلما دعت الحاجة الى اتصال تلك القبائل في مواسم الحج قبل الاسلام عقدت تلك المؤتمرات الثقافية التى سميت « بالاسواق » وظهرت الحاجة الى وسيلة للتفاهم تجمع بين تلك القبائل .

وهنا نشهد ما يحدث عادة بين البيئات المنعزلة حين تبغى الوحدة ، اذ تتخذ مركزا واحدا تتطلع اليه ، وتطمئن اليه لما تمتاز به من نهضة في الثقافة أو نفوذ سياسي .

وليس هناك ما يقرب بين الجماعات المتنافرة ، كاللغة الموحدة التى تجمع شملهم ، وتلم شتاتهم .

فلما بدأت عوامل الوحدة السياسية والثقافية بين القبائل ، تهيأت كل الظروف لجعل مكة مركزا لتلك الوحدة باعتبارها قلب

الجزيرة العربية ، وبدأ رؤساء القبائل يفدون اليها يحجون ذلك البيت الذى قدسوه قبل الاسلام ، كما وفدوا للتجارة ، وليشهدوا منافع لهم – كما يذكر القرآن الكريم – في أسواق كانت مجالا للثقافة بين القبائل، فيها تعقد المناظرات الأدبية والمساجلات من شعر أو خطابة .

ويذكر الرواة أن أسواق العرب قبل الاسلام كانت في أرجح الاقوال ثماني أسواق وأشهرها (عكاظ) وهى السوق العامة للعرب وكانت تعقد حول مكة في أوائل شهر ذى القعدة ، وكانت سوق (المجنة) تعقد بعدها في أواخر هذا الشهر ، ثم تعقد سوق (ذو المجاز) في أوائل شهر ذى الحجة . أما سوق (خيبر) فكانت تعقد بعد أشهر الحج .

وحتى يؤدى الخطيب رسالته كاملة واضحة ، ويترك سامعيه معجبين بقوله وبلباقته كان عليه أن يتحاشي تلك الصفات المحلية التى تتصل بنهجة من اللهجات ، وأن يتحدث الى القوم بلغة تواضعوا عليها وألفوها جميعا . كذلك كان لابد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة تواضعوا عليها وألفوها ، بعيدة عما يشيع داخل لهجاتهم الخاصة ، والا فكيف كان من الممكن أن يفضل شاعر على شاعر في تلك المناظرات اذا كان المقياس مختلفا ، وأداة القول متباينة . وعن طريق هذه اللقاءات الأدبية والتجارية التى نشطت في أنحاء الجزيرة العربية قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، تكونت للعرب لغة مشتركة وتقاليد فصحى هى خير ما جاءت به اللهجات المتفرقة ، وأضافته الى لسان قريش التى كانت تسكن جوار البيت العتيق بمكة ، ومنحها هذا الجوار سلطة روحية وأدبية ، وان لم يمنعها ذلك من أن تنتقى من ألسنة العرب ما وافق طباع ألسنتها ، وما أحست أنه صورة راقية من صور اللغة الفصحى .

يقول أبو الحسن أحمد بن فارس : « أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم ، أن قريشا أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة ، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبى الرحمة محمدا صلى الله عليه وسلم ، فجعل قريشا قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ، ويتحاكمون الى قريش في أمورهم ، وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم .. الى أن قال : وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها ، اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم واشعارهم أحسن لغاتهم ، وصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب » (١) .

ومن هذا نرى أن العرب قد توحدوا في لغة أدبية ممتازة مختارة الالفاظ يعمد اليها الشاعر والخطيب كلما عن له القول ، وان كانت لهجة قريش هى الغالبة على هذه اللغة باعتبارها لهجة متقدمة وأرقى لهجات العرب وأعظمها حضارة الا أن هذه اللغة كانت لغة الخاصة من الناس ، ولا يمنع وجودها من أن يتكلم العربى بلهجته الخاصة في خطابه العادى بين أفراد قبيلته وفي أموره اليومية والمعيشية .

ويتفق مؤرخو الثقافة العربية أن القرآن الكريم هو نقطة البدء في نشأة علوم هذه الثقافة . وحسبنا أن نذكر أن القرآن الكريم هو أول كتاب بالعربية يضم بين دفتيه قدرا من البيان العربى الذى حصن الله به هذه اللغة . وليس هذا بمانع أن يكون الشعر العربى

---

(١) كتاب الصاحبى فى فقه اللغة ص ٢٣ .

في ذلك الحين « ديوان العرب » ولكنه كان ديوانا مرويا ومبعثرا ، لا مدونا ، وبذلك يكون القرآن الكريم أول عمل تم في تاريخ اللغة على هيئة كتاب من النثر .

ولا ريب أن التفكر اللغوى قد سيطر آنذاك على ما عداه من ضروب الثقافة . فقد كان الناس بحاجة الى فهم مفردات النص القرآنى ، ليمكن تصور مضمونه ، وتمثل أحكامه ، كما كانوا بحاجة الى ضبط حفظهم للنص عن طريق المشافهة والتلقى .

ولعل أقدم ما وصلنا من ملامح هذا النشاط وأخباره ما روى عن عبد الله بن عباس من أنه كان يتصدى في المسجد لتفسير القرآن ، وكان الناس يلقون اليه بأسئلتهم ، وهو يجيب عنها اجابة العالم المتثبت ، والرواية المحيط ، بعد أن دخل الناس من كل جنس في دين الله أفواجا ، واختلطوا بعناصر المجتمع العربى ، وظهر في اللسان العربى ـ نتيجة هذا الاختلاط ـ بعض الانحراف عن سننه وتقاليده ، واذا بهذا الانحراف يصيب آيات من القرآن يخطىء قارئها وهو لا يدرى أن خطأه خطير ، حتى ينبهه بدوى يستمع اليه ويحتج عليه بطريقة خاصة .

وهذا هو الذى عجل بوضع علم النحو ، وحدا بأبى الأسود الدؤلى الى أن ينشىء هذا العلم .

فقد روى أن أبا الأسود الدؤلى سمع قارئا يقرأ قول الله تعالى : « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » يقرؤها بجر لام « ورسوله » وهو أداء يشوه معنى الآية ، ويصل الى مرتبة التكذيب بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو الأسود الدؤلى : ما ظننت أمر الناس آل الى هذا ،

وتذكر بعض الروايات أن أعرابيا سمع هذه القراءة الخاطئة فقال : (برئت ممن برىء من الله) فصوب له أمير المؤمنين (عمر أو علي ، على اختلاف في الروايات) قراءة الآية على معنى : (ورسوله برىء) فقال : اذن برئت ممن برىء منه الله ورسوله .

وقيل : ان ابنة لأبى الأسود الدؤلى قالت له : يا أبت : ما أشد الحر – بضم آخر الأولى وكسر آخر الثانية – في يوم شديد الحر . فقال : اذا كانت الصقعاء (الشمس) من فوقك ، والرمضاء من تحتك ، فقالت : انما أردت أن الحر شديد . فقال لها : فقولى اذا : ما أشد الحر – بالفتح فيهما – وقيل انه دخل الى منزله فقالت له بعض بناته : ما أحسن السماء – بضم فكسر – فقال . أى بنية نجومها .. فقالت انى لم أرد أى شيء فيها أحسن ، وانما تعجبت من حسنها فقال : اذا فقولى : ما أحسن السماء – بالفتح فيهما – .. فحينئذ وضع كتابا .

واذا كان هذا النشاط اللغوى قد اتجه في بدايته الى الدرس اللغوى بوضع قواعد للنحو ، وتولى العديد من العلماء التابعين وتلاميذهم تعميق محاولة أبى الأسود الدؤلى ، فقد تلا ذلك مرحلة ثانية للدرس اللغوى بدأت مع منتصف القرن الرابع الهجرى تقريبا وفيها أخرج ابن جنى المتوفي سنة ٣٩٢ هـ كتابه « الخصائص » كما ألف كتابا في علم الأصوات هو (سر صناعة الاعراب) الى جانب كتب أخرى كثيرة في هذا المجال .

وما يهمنا في هذا الصدد هو أن نوضح أنه مع بداية عصر التدوين ، أخذ الرواة يفرقون بين قبيلة وأخرى ، فينسبون الفصاحة لهذه ، وينكرونها على تلك ، وكانت قبائل قريش وتميم وهذيل وطيىء من أشهر القبائل التى نسب اليها الرواة الفصاحة وأجادة القول ، وبالتالى كانت من أعظم القبائل التى اعتمدوا عليها في الاحتجاج بأقوالهم والأخذ عنهم في رواياتهم ، بينما رفضوا الأخذ

عن تلك القبائل المتطرفة التى كانت مساكنها على حدود الجزيرة العربية ، فلم يأخذوا عن قضاعة لمجاورتها بلاد الرومان واحتمال تأثرهم بلغة الروم في حدود سورية وفلسطين • كما رفضوا الأخذ عن تغلب والنمر ، لقربهم من أرض الجزيرة وتأثرهم بالفارسية واليونانية ، كما أنكروا الفصاحة على بكر لاتصالهم بالفرس والنبط ، وقالوا : ان اختلاط قبائل اليمن الحبشة قد أضعفت من فصاحتهم وأن اتصال لخم وجذام بمصر قد جعل لغتهم موضع الشك فلا يحتج بها في الروايات اللغوية •

وظل الحال على ذلك حتى كان النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى فظهر من علماء العرب من لم يفرق بين قبيلة وأخرى ، بل عدهم جميعا سواء في الأخذ عنهم والاحتجاج بأقوالهم •

فقد عقد ابن جنى في كتابه « الخصائص » فصلا خاصا سماه «اختلاف اللغات وكلها حجة» اشار فيه الى بعض الصفات المشهورة عن لهجات ، وأن بعض تلك الصفات أشهر من البعض الآخر وأكثر شيوعا في اللغة ، ولكنها جميعا مما يحتج به الى أن قال : (ألا أن انسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب ولكنه يكون مخطئا لأجود اللغتين ، فأما ان احتاج الى ذلك في شعر أو نثر فانه مقبول منه غير منعى عليه) •

الا أن ما استقر عليه الرأى بين جمهور العلماء من القدماء أن نصوص القرآن الكريم يحتج بها - بلا خلاف بينهم - في تقعيد قواعد اللغة • أما حين نظروا الى المروى من الشعر العربى ، فقد أجمعوا على أنه يحتج بالشعر الجاهلى ، كشعر زهير بن أبى سلمى ، وطرفة وامرىء القيس وأمثالهم ، كما يحتج بشعر المخضرمين وهم الذين

عاشوا في الجاهلية والاسلام ، ونظموا شعرا في المرحلتين كحسان ابن ثابت وأمثاله . وكذلك يحتج بشعر الاسلاميين حتى منتصف القرن الثاني الهجري من أمثال : جرير والرزدق والأخطل ، وان كان بعض المتشددين من أمثال : أبي عمرو بن العلاء كان يرفض الاستشهاد بالشعر الاسلامي ، فقد روى عنه أنه كان يقول : لقد حسن هذا المولد - يعني شعر جرير والفرزدق - حتى كدت آمر صبياننا بروايته . ويقول عنه تلميذه الأصمعي : « لقد لازمته عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامي قط » .

أما موقف العلماء من الاستشهاد في مسائل اللغة بنصوص الأحاديث النبوية الشريفة ، فقد انقسموا الى فريقين : أحدهما - وهو معظم هؤلاء العلماء - منع الاستشهاد بالحديث في مسائل اللغة مرجعا ذلك الى أن رواية الحديث تجوز بالمعنى مثل : « زوجتكها » في رواية ، و (ملكتكها) في رواية أخرى ، وخذها بما معك من القرآن . كما أن كثيرا من رواة الأحاديث كانوا من المولدين ، أي الذين عاشوا بعد عصور الاحتجاج ، وهؤلاء يجوز عليهم اللحن .

أما الفريق الثاني - وهم القلة - فكانوا يجوزون الاستشهاد بنصوص الأحاديث في مسائل اللغة ، وحجتهم في ذلك أنه اذا جاز اللحن في رواية الحديث فكذلك يقال في رواية الشعر ، بل ان احتمال اللحن في رواية الشعر أكثر ، وذلك لأن الوازع الديني يساعد على تذكر نصوص الأحاديث ويعمل على صيانتها من أي انحراف . وقد سكت المتقدمون من علماء العربية عن الاستشهاد بالحديث ، ولم يرد عنهم ما يفيد أنهم منعوه ، بل نجد في بعض كتبهم استشهادا بالحديث وان كان قليلا .

الا أن الخلاف قد اشتد بين المتأخرين ، وأصبح واضحا كل الوضوح في القرنين السابع والثامن من الهجرة .

ومن زعماء المنع للاستشهاد بالحديث : ابن الضائع الأشبيلى ، وأبو حيان ، ومن زعماء المجيزين له : ابن مالك وابن هشام . والرأى عندى هو ما ذهب اليه الفريق الثانى من جواز الاستشهاد بالحديث النبوى المروى بلفظه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا بمعناه ، واعتمده رواة الحديث المشهورون كالبخارى ومسلم وغيرهما .

وأما بالنسبة للنثر ، فقد وجدنا العلماء يفرقون بين القبائل - كما ذكرنا - ويبنون فصاحة القبيلة على دعامتين : الاولى مقدار قرب مساكنها من مكة وما حولها والثانية مقدار توغلها في البداوة .

(التعـــريب)

التعريب ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات ، وتأثير بعضـها في بعض ، ووجوده في اللغة العربية ، صورة لظاهرة عامة في كل اللغات • فهي جميعا تستورد الدخيل بحسب حاجتها ، ويتسرب اليها على الرغم منها اذ لا يكاد يعقل أن تتم عملية تبادل حضاري غير مشفوعة بتبادل لغوي في الوقت ذاته لأن أية لغة متقدمة متطورة عاشت فترة من عمرها في حضارة زاهرة ، وعلم راق ، وفكر متقدم ، وأدب رفيع لا يمكن أن تكتفي بثروتها المحلية ، كما أنه لا يمكن أن تنجو اللغات الأخرى من تأثيرها •

واللغة العربية لغة ذات نظام منسجم متماسك ، يشد بعضه بعضا ، تجري فيها الألفاظ على نسق خاص في حروفها وأصواتها ، وفي مادتها وتركيبها ، وفي هيئتها وبنائها ، كما كان للمجتمع العربي نظام في ارتباط أفراده وقبائله في صلات القربى والنسب وصـلات التضامن والتعاون ، وله سننه في السلوك والخلق لا يستطيع الفرد الخروج عنها ، بل ينشأ منطبعا عليها ومنساقا اليها • ولذلك كان دخول الغريب في قبيلة أمرا لا بد من معالجته معالجة لا تخل بتماسك المجتمع وقواعده المنسجمة ، فكانوا يقبلونه بينهم على أنه جار يحمونه أو يلحقونه بهم بالولاء ، فيكون مولى لاحدى القبائل العربية ، ومعنى الولاء : المناصرة فهو مولاهم وهم مواليه ، أي أنه نصيرهم وهم نصراؤه ، ولا بد له في هذه الحال من أن يسلك مسلكهم في الحياة و في عاداتهم وأخلاقهم •

ان دخول الكلمة الغريبة في اللغة العربية ، شبيه بدخول الغريب في العرب والتحاقه باحدى قبائلهم ، وان اطلاق كلمة (التعريب)

للدلالة على الألفاظ الاجنبية التى دخلت لغة العرب ، تشير الى هذا المعنى ، فقد استعمل أهل اللغات الاخرى للدلالة على المعنى نفسه لفظ النقل الاستعارة ، أما التعبير العربى فيفيد أن الكلمة جنست وأصبحت من جنس كلام العرب .

فالتعريب ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات وتأثير بعضها في بعض فاللغات تلتقى بالتقاء أصحابها في السلم والحرب ، وبالتجاوز وبالاتصال ، أو الاحتلال والحكم في ميدان الثقافة والعلم ، أو في ميدان الاقتصاد والتجارة ، أو غير ذلك من ضروب الاتصال ، فيؤثر بعضها في بعض بوجه عام ، أو في ميادين محدودة ، ويخلف هذا التأثير قوة وضعفا ، وفي كونه مزدوج الوجه بأن تتأثر كل لغة بالاخرى ، أو منفردا واقعا من احدى اللغتين على الأخرى ، كل ذلك يختلف باختلاف العوامل المؤثرة والحالات الواقعة ، وأبرز ما يدعو الى هذا الاختلاف من العوامل :

١ - تفاوت الشعبين أصحاب اللغتين في الثقافة والحضارة ، فالشعب الأرفع ثقافة تؤثر لغته في الشعب الاضعف حتى ولو كان هذا هو الفاتح المحتل .

٢ - طول الالتقاء من جهة المدة ، وعمقه وشدته ، وسعة ميادينه وآفاقه .

٣ - المناعة اللغوية الناشئة عن أسباب تعود الى اللغة نفسها ، في قوتها وصلاحها ، أو أسباب تعود الى المناعة الدينية أو القومية .

أما آثار التقاء اللغات فتظهر في عناصر اللغة : في أصوات الحروف ، وفي المفردات ، وفي الصيغ والابنية ، وفي تركيب الجمل ، وفي التعابير والأساليب . وليس التعبير الذى بحثه علماء اللغة قديما

الا أحد ماظهر التقاء العربية بغيرها من اللغات ، وهو المفردات، ولم يبحثوا في المظاهر الاخرى لانعدام التأثير أو ضعفه ٠

التقى العرب قبل الاسلام بشعوب قريبة منهم كالشعوب السامية ، أو بعيدة كالفرس والروم ، ولكن التقاءهم كان محدودا ضعيفا ضيق الأفق فكانوا يعيشون في جزيرتهم بعيدين عن تأثير الأمم الاخرى وكذلك لغتهم ، الا ما كان من بعض المبادلات التجارية عن طريق القوافل العربية نفسها ، أضف الى ذلك اعتزازهم بأنفسهم وبلغتهم ، واعتقادهم الشرف في أنفسهم ، والخسة في علوم الأعاجم، وهو عامل نفسي كبير الاثر في مثل هذا الموضوع ٠

ولهذا كانت الالفاظ الدخيلة المعربة في العصر الجاهلي قليلة محدودة تتصل ببعض ما كانوا يستجلبونه من الأشياء التي لم تكن عندهم ، وما كانوا يشاهدونه في بلاد غيرهم مما لا عهد لهم به ، أو ما هو من هذا القبيل ، وكل ذلك محصور في ألفاظ تدل على أشياء مادية لا على أمور معنوية ، ومثل ذلك :

استبرق ـ اقليد ـ خندق ـ درهم ـ دينار ـ سروال ـ صراط ـ صنم ـ فردوس ـ قرطاس ـ قسطاس ـ قنطار ـ كوب ـ مرجان ـ مسك ٠

وأما بعد الاسلام فقد التقت العربية بغيرها التقاء أطول أمدا وأوسع أفقا ، وأكثر تداخلا ٠ التقت بالفارسية والسريانية واليونانية والقبطية والبربرية ٠ ولكن جميع أسباب القوة والغلبة كانت الى جانبها ، فقد أضيف الى ما كانت عليه العربية في ذاتها من بناء قوي محكم ومادة غزيرة ولا سيما في المعنويات ٠ أضف الى ذلك أنها أصبحت لغة الكتاب المنزل والرسالة المنتشرة في أطراف الأرض والأمة الحامية ٠

فكانت النتيجة انقراض بعض اللغات وحلول العربية محلها في البلاد التى تم استعرابها وكمل بعد الاسلام كالعراق والشام ومصر ، وانزواء لغات أخرى كالبربرية في شمال أفريقيا وانحسار الفارسية واليونانية الى حدود بعيدة .

ان اللغة العربية هى التى حملت رسالة الاسلام ، فغذيت بألفاظ كثيرة جدا للتعبير عن المفاهيم والأفكار والنظم وقواعد السلوك التى جاء بها الاسلام ، وغدت لغة الدين والثقافة والحضارة والحكم في آن واحد ، واستطاعت بما وهبها الله من خصائص ، وما تهيأ لها من تاريخ طويل سبق الاسلام ، أن تفى بهذه الحاجات الجديدة ، وأن تنهض بالعبء العظيم فتكون لغة الدولة الجديدة والحضارة الجديدة . حتى أن العربية غزت اللغات الاخرى خلال العصور التى تلت الاسلام ابتداء من الفارسية ـ التى دخلها عدد كبير جدا من الألفاظ العربية كلغات الشعوب التى اتصلت بالعرب ودانت بالاسلام كالتركية .

وأصاب العربية في هذا الاتصال بعض التأثير ، فانتقلت اليها ألفاظ جديدة لم تكن فيها ، وتتعلق كلها ـ الا النادر منها ـ بالمحسوسات والماديات لا بالمعنويات ، كأسماء الألبسة والأطعمة والنباتات والحيوانات وشئون المعيشة أو الادارة : كالقلنسوة والطيلسان والبنفسج والبستان والباشق والكعك والفولاذ والجوسق والبرنامج والنموذج والمهرجان والدرفس والكاغد والتزويق والأستاذ والتلميذ والديون والساذج والسرداب والسكر والنرجس والياسمين والجوهر والهيولى والفلسفة والسفسطة والقانون . وأكثر هذه الألفاظ أخذ عن الفارسية وقليل منها أخذ عن اليونانية أو غيرها .

ان أثر اللغة الأجنبية في اللغة العربية اقتصر على دخول بعض المفردات الغربية في اللغة العربية وهو ما سماه علماء اللغة (تعريبا) كالألفاظ التى سردناها آنفا .

أما المواطن الأخرى التى يحدث فيها التأثير عادة بين اللغات كالأصوات والصيغ والتراكيب ، فيكاد تأثير اللغات الاخرى في العربية منعدما ، فلم تتغير أصوات الحروف العربية ولا تأثرت أبنية العربية وأوزانها ، وأما ما كان من تطور التراكيب ومن طول الجمل وتداخلها وتشابك أجزائها وتعددها ، فهو في رأينا تطور طبيعى نشأ عن تطور الحياة والفكر بعد الاسلام ، وليس هو تبدلا أساسيا في تركيب الجملة العربية ، فقد بقى تركيب الجملة الاسمية والفعلية في صورهما المختلفة ؛ ولم تتغير كذلك طريقة الاضافة والوصف ولا غيرها من أساليب العربية في تركيبها .

ولو عدنا بعد هذا الى الناحية التى ظهر فيها تأثير اللغات الأجنبية وهى المفردات ، واستعرضنا ما ذكره المؤلفون وجمعه اللغويون من الألفاظ الدخيلة سواء قبل الاسلام أو بعده ، لوصلنا الى النتائج الآتية :

١ ـ ان عدد الألفاظ الأجنبية الدخيلة قليل جدا اذا نسب الى عدد مفردات العربية ، أو اذا قيس بالألفاظ العربية التى دخلت اللغات الأخرى كالفارسية .

٢ ـ ان هذه الألفاظ التى دخلت العربية تتعلق بالحسيات لا بالمعنويات ، والمصطلحات الادارية وقليل منها من مصطلحات الفلسفة وما اليها .

وأما الالفاظ العربية التى دخلت في اللغات الأخرى فهى مما يتصل بالمعنويات كالمفاهيم الشرعية أو الخلقية والنفسية .

٣ ـ ان ما دخل العربية من ألفاظ غريبة ، لم يبق في أكثر الأحوال على حاله ، بل صيغ في قالب عربى ، فغيرت حروفه اذا كان فيه من الحروف ما ليس في العربية ، وبدل شكل تركيبه وبناؤه حتى يوافق الأبنية العربية أو يكون قريبا منها .

ولهذه النتائج التى عرضناها مغزاها ودلالتها ، فهى تشير بوضوح الى غنى اللغة العربية وغزارة مادتها ، ولاسيما في المعنويات والمجردات واستغنائها في هذه الناحية عن غيرها ، فقد أعطت أكثر مما أخذت ، أعطت الاهم والأعلى ، وهو الألفاظ الدالة على المشاعر والأخلاق والأفكار ، ولم تحتج في هذا الميدان الى غيرها ، بل احتاج غيرها اليها .

وتدل هذه النتائج أيضا على مناعة العربية واحكام نظامها ومتانته ، فلم تسمح للفظ الغريب أن يدخل الخلل على نظامها والفساد على قواعدها ، ولذلك صهرته وغيرت معالمه حين قبلته ، وكان قبولها لمثل هذه الألفاظ بحدود ضيقة وحذر ، ولذلك كانت المغالاة والاكثار من الغريب وفسح المجال له من غير قيد ، مظهرا من مظاهر النزعة الشعوبية في الميدان اللغوى قديما وحديثا .

ولو نظرنا الى الموضوع من وجهه الآخر ، أى من جهة تأثير العربية في اللغات الأخرى ، لوجدنا محل القول واسعا ، ولألفينا تأثير العربية في الأصوات والحروف وفي المفردات والمعانى وفي التراكيب قويا واضحا . لكن هذا البحث لا يبحثه علماء العربية ، وانما يبحثه علماء اللغات الأخرى التى تأثرت بالعربية .

وكلامنا هنا مقصور على الفصحى ، أما تأثير اللغات الأجنبية في اللهجات العامية ، فهو واقع منذ عهد . وقد بدأ هذا التأثير منذ القرن الثانى والثالث للهجرة ، واستمر خلال العصور حتى كان تأثير اللغات الأجنبية في هذا العصر في لهجات البلاد العربية العامية، ولكن الفصحى بقيت في منجاة من هذا التأثير الا في الحدود الضيقة التى وصفناها .

كيف يعرف الدخيل ؟

ويعرف الدخيل في اللغة العربية من فقدان الصلة بينه وبين احدى مواد الألفاظ العربية • فاذا نظرنا الى حروفه وعدنا الى الأصل اللفظى الذى يمكن أن يكون مشتقا منه فلم نجد له أصلا ، أو وجدنا الصلة المعنوية منقطعة ، غلب على الظن أن اللفظ دخيل ، وذلك مثل : كاغد وساذج ، وبستان فلا نجد في العربية مادة : كغد وسذج وبست • وقد يقع الاشتباه لوجود أصل عربى يشابه الكلمة الدخيلة ، ولا بد حينئذ من البحث التاريخى عن اللفظ لمعرفة أصله ، كاشتباه لفظ اقليد ودخولها في مادة قلد ومنها القلادة ، وكالفولاذ وهو الحديد الصافي من الخبث قالوا انه معرب من بولاذ ، ويدخل في مادة فلذ ومعناها قطع ، وكالوزير يمكن أن تدخل في مادة وزر والوزر الحمل الثقيل ، ولكن مجرد صلتها بمادة عربية لا ينفى كونها دخيلة اذا ثبت ذلك عن طريق البحث التاريخى • كما لا يحكم على لفظ عربى بكونه دخيلا لمجرد مشابهته للفظ مقابل في اللغة الأجنبية •

ومن القرائن الدالة على عجمة الأصل في الكلمة ، أن يجتمع فيها من الحروف ما لا يجتمع في الكلمة العربية كالجيم والقاف في (جوسق) و (جردقة) والجيم والصاد في (جص) والجيم والطاء في (طازج) أو يكون على وزن ليس في العربية مثلا (كابريسم) على وزن(افعيلل) وآجر على وزن (فاعل) – بضم العين وتشديد اللام –

كما أن من علامات المعرب أن يكون في آخر الكلمة (زايا) قبلها (دال) مثل : « مهندز » أو يكون أولها (نونا) بعدها (راء) مثل : « نرجس » •

ومن العلامات التى توضح الدخيل أيضا : تكلم العرب بما ليس

من كلامهم بألفاظ مختلفة : كما قالوا في (بغداد) «بغداذ» و(بغدان) و (مغدان) • وقد أطال ياقوت في البلدان بيان الاختلاف في أصل الكلمة الفارسية • ومنها انها مكونة من كلمتين : (بغ) بمعنى (صنم) و (داذ) بمعنى (عطية) فكأنها (عطية الصنم) • وكان الأصمعي يكره أن يقول : (بغداذ) وينهى عن ذلك لهـذا المعنى ويقول : « مدينة السلام » •

الرأى في التعريب :

اذا أدخل العرب لفظا أعجميا في لغتهم ، فانهم يحدثون فيه ـ غالبا ـ بعض التغييرات التى تجعله مجانسا لألفاظهم ، وجاريا على قواعدهم ، حتى لا يخل هذا اللفظ الدخيل بالنظام الصوتى والبنائى الذى تقوم عليه لغتهم • وتصبح اللفظة ـ بعد ذلك ـ في درجة واحدة مع الكلمة العربية من حيث الاستعمال والمكانة ، فلا يحط من قدر الكلمة المعربة ، ولا من قدر الكلام الذى يحتويها كونها معربة ، فان تداول العرب لها قد أكسبها مسحة عربية صيرتها في مستوى الألفاظ العريقة في عروبتها • خاصة وأنه لم يترك أئمة اللغة الا في التدريب للهوى والاختيار الخاص ، بل وضعوا لها معايير وأسسا واضحة من أهمها : السماع عن أهل الثقة في اللغة وأهل الدراية بالعجمى والعربى •

وأصح الكلمات المعربة ما ورد منها في القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وشعر الجاهلية ، أو سمع في نثر من يحتج بعربيتهم •

أما ما استخدمه المولدون في مختلف العصور ، وما أدخله بعض الباحثين في العصر الحديث ، أو ما يرى البعض ادخاله في اللغة

العربية من كلمات أجنبية تتصل بالمخترعات أو المصطلحات العلمية والفنية ، فقد احتدم النقاش حول هذه الألفاظ :

أ – ففريق يرفض التعريب مؤثرا اللفظ العربى الذى يؤدى المعنى الأجنبى ، اما بالاشتقاق من المواد اللغوية العربية ، واما باحياء الالفاظ التى نلمح الملابسة بينها وبين المعانى الجديدة . كالسيارة (للأتومبيل) والقطار (للوابور) والخيالة (للسينما) .

وحجة هذا الفريق أننا لو أجزنا الألفاظ الأجنبية ، وأدخلناها في لغتنا ستصبح العربية مجرد قوالب وصيغ للألفاظ الأجنبية الهاجمة ، على حين أن في العربية من الألفاظ ما يؤدى كثيرا من معانى هذه الألفاظ الأجنبية عينها .

ب – وفريق يجيز التعريب ويطالب به بعد أن غزتنا المدنية العصرية بعلومها وصناعاتها ، وفرضت نفسها علينا بألفاظها الأجنبية التى تميزها ؛ كالمخترعات وأجزائها وشتى الأدوات والعقاقير ، وصنوف المطاعم والمشارب وألوانها ، وضروب الأثاث وما اليه ، ومظاهر الحياة الحضرية من ألعاب ومجامع ونحوها . وأصبحت ألفاظ هذه المدنية الحديثة موج زاخر ، وهيهات أن نرد اندفاعه مهما نبذل من جهد ، الى جانب أن بعض هذه الألفاظ عالمى الذيوع ، وبخاصة ألفاظ العلوم والفنون ؛ فمن العبث الانفراد بوضع ألفاظ جديدة ، خروجا على المتواضع عليه في جميع اللغات .

وكان هذا الصراع اللغوى أحد ألوان النزاع في تاريخ حياتنا في العصر الحديث – وهذا الصراع بين أصحاب النزعة المحافظة في تشددهم ، وأصحاب النزعات الأخرى التى تميل الى التساهل في شأن الدخيل ، قد ولد النزعة المعتدلة التى سارت فيما بعد ، فأخذت

من الفريق الأول ضرورة الحفاظ على الأصالة في لغتنا ، ومن الفريق الثانى ضرورة الاستجابة لمطالب الحياة والمرونة في معالجة المشكلة اللغوية ، وأدى بها ذلك الى : اعادة الحيوية الى كيان اللغة عن طريق الاشتقاق بالتوليد تبعا لسنن العربية نفسها التى كان الناس في العصور المنصرمة قد وقفوا دونها ولم يعملوا بها ، وجروا في اللغة كما جروا في الفقه وفي سائر الميادين الأخرى على طريقة التقليد والاتباع دون الاجتهاد والابداع • فكانت الدعوة الجديدة دعوة الى الاجتهاد في اللغة مع المحافظة على أصول العربية وخصائصها وسننها ، وكانت الطريق الصحيح للحفاظ على الذات ، ولتكون المناعة دون الذوبان في الذات الغربية الأجنبية ، والانصهار فيها والتبعية لها ، والخضوع المطلق لنفوذها اللغوى والفكرى •

ومما أعان على تقوية هذه النزعة القويمة ، احياء التراث العربى القديم ، واقترانها بمرحلة الشعور الذاتى من الناحية السياسية والقومية عند أبناء الأمة العربية ، وبعد أن كان الناس يتأدبون بمقامات الحريرى وأمثالها ، أخذوا يقبلون على دواوين كبار شعراء العربية من شعراء الجاهلية ، وأصحاب المعلقات الى شعراء العصر العباسى كالبحترى وأبى تمام وأبى الطيب المتنبى •

وطفقوا ينصرفون عن النثر المتكلف المسجوع الى النثر البليغ ، فعادوا الى عصور ابن المقفع والجاحظ وأضرابهما ممن كانوا يجدون فيهم المثل الاعلى الجديد للأثر العربى الخالى من قيود الصنعة والزينة الفارغة ، والمبالغات والتهويلات والمجازات الغريبة والأخيلة المتكلفة ، وظهرت طبقة جديدة من الكتاب تنسج على هذا المنوال مثل : ولى الدين يكن ، وعبد الرحمن الكواكبى ، والمويلحى ، ومحمد عبده ، وسعد زغلول وغيرهم •

وحتى نضمن لهذا الاتجاه اكتماله والتزامه بالحفاظ على أصول اللغة واطارها العربى العام ، لا بد لنا من أمرين :

أولا : العمل على فهم خصائص العربية ليكون السير في طريق الاشتقاق والتوليد على أساس صحيح من هذه الخصائص ، وعلى السنن القويم لهذه اللغة ، ويكون هذا الفهم أمتن وأعمق اذا عرفنا أن بين خصائص اللغة العربية وخصائص العرب أنفسهم صلة ووشيجة ونسبا .

ثانيا : الاسراع في تطهير العربية من بقايا الضعف والعجمة التى علقت بها خلال عصور الانحطاط والضعف أو عن التأثير الاجنبى الحديث في عهود الاستعمار لأقطار الوطن العربى .

وأخيرا : أن يقوم بأمر هذا الاشتقاق والنقل هيئة علمية متخصصة كمجمع اللغة العربية حتى نضمن سلامة السير في هذا الطريق ، وتكون ازاء متخصصين تدفعهم الضرورة الى وضع ما يضعهن ، ويختارون من الكلمات ما يتناسب وقواعد وسنن اللغة العربية .

وقد أحسن مجمع اللغة العربية صنعا عندما رفض ادخال كلمات أجنبية تتصل بالمخترعات الحديثة ، محتجا بأن في اللغة العربية ما يغنى عنها وفي بطون القواميس الكثير من المهجور الجميل في النغم والجرس مما يصلح أن يوضع للمسميات الحديثة ، وأن بعث هذه الكلمات من مرقدها يجعلها كأنها موضوعة وضعا جديدا .

واهتم المجمع بقراره هذا وطبقه ، فوضع عددا كبيرا من الأسماء

العربية لمسميات حديثة جرت العادة باستخدام كلمات أجنبيـة في التعبير عنها (١) .

ومن هذه الكلمات :

السيارة (للأتوموبيل) والدارجة (للبسـكلات) والشـــطيرة (للسندوتش) والمشجب (للشماعة) والمعطف (للبالطو) .

غير أن المجمع قد راعى الضرورة الملحة للكلمة الأجنبية ، فقال في قـــراره :

« يجيز المجمع أن يستعمل بعد الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم » .

ولكنه - مع ذلك - قيد استعمالها واقرارها ، فأوصي بدراسة كل كلمة من الكلمات ، على أن يراعى في هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ، ولم يعرف لها مرادف عربى سابق صالح للاستعمال (١) .

وبذلك كله نســتطيع أن نتغلب على ما يعترض حياتنـــا من مشكلات لغوية ، وتنفتح أمامنا السبل ، ونســير على نهج قويم وبصيرة من الأمر بعيدا عن الزيغ والهوى والانحراف والتشـويه ، ونجمع بين الوفاء بحاجات الحياة الجديدةوأغراضها . والحافظ على خصائص العربية الأصيلة وقوانينها وسننها .

---

(١) راجع الجزء الاول من مجلة المجمع اللغوى .
(١) جلسة ٢٤-٢-١٩٥٠ م .

بعض الملاحظات في اللغة

(– هناك بعض الاستعمالات الخاطئة في اللغة لايدركها كثير من الناس ، نذبه القارىء الى بعضها :

ردحا من الزمن : بفتح الدال ، اما تسكينها فخطأ شائع •

حلبة السباق : بسكون اللام ، وفتحها خطأ شائع •

نقول : الأيادى البيض ولا نقول : البيضاء •

هجم عليه وهجمه • وهاجم خطأ •

« مجد » جمعه « مجود » ، وأمجاد جمع « مجيد » •

الأخويات هو الاستعمال الصحيح • أما الاخوانيات فخطأ شائع •

هاج وهيج • أما « أهاج » فخطأ •

وردة جمعها : ورد أما (ورود) فخطأ شائع •

تقول : (وعلى العموم) أما (عموما) فخطأ لغوى •

وتقول : حدائق فيح (بكسر الفاء) ولا تقول : (فيحاء) •

سائح : جمع سياح ، أما سواح فخطأ شائع لانه يأتى من ساح يسيح ويجمع أيضا على سائحين •

وتقول : رياض غن (بضم أوله) ولا تقول : (غناء) •

ونقول : هذا شراب مثلج بتشديد اللام المفتوحة وهـذا خطأ وصحته مثلوج أو مثلج – بلام مفتوحة – من الفعل ثلج أو أثلج •

ويقولون : هو غاو للكرة وهذا خطأ لأن الغـاوى هو الضـال والاصح أن نقول : هاو أو محب أو كاف أو مولع بها •

كمبيالة ، وايصال خطأ ، والعربى : صك •

أسماء البلاد يجب أن تكون بالتاء لا بالالف فنقول : سورية وهولندة ، ولا نقول سوريا وهولندا •••• وهكذا •

٢ ـ لا تزال اضافة أداة النسب التركية وهى (جى) الى الحرفة لاصقة بنا وبلغتنا ولا شك أن هذا خطأ جرت به الالسنة ، فقد كان الأتراك يلصقون هذه الأداة (جى) بجميع أسماء الحرف والصناعات ، وما زالت بعض الكلمات شائعة في لغتنا الدارجة وكثيرا ماتتسلل الى لغة الكتابة ، ومن ذلك :

النوبتجى : وصحتها صاحب النوبة .

مكوجى : وصحتها المكواء .

عربجى : وصحتها الحوذى .

قهوجى : وصحتها القاهى .

مطبعجى : وصحتها الطباع .

البوسطجى : وصحتها موزع البريد .

٣ ـ كذلك نجد بعض الالفاظ الافرنجية قد تسللت الى لغة الكتابة ، ومنها :

الهرمونى : صحتها التآلف الصوتى .

الدبلوماسية : « الفن السياسي .

الدبلوماسيون : « السياسيون .

التكتيك : « الصنعة .

دوسيه : « اضباره أو ملف .

سندوتش : « شطيرة .

بلطو : « معطف .

جوانتى : « قفاز .

٤ ـ لغويات :

استبرق : اسم فارسي جمعه (أبارق) وتصغيره (أبيرق) .

أبيض : اذا كان الرجل أبيض بياضا لا يخالطه شيء من الحمرة ، وليس بنير ، ولكنه كلون الجص ، فهو أمهق ، فان كان أبيض بياضا محمودا يخالطه أدنى صفرة كلون الدر فهو (أزهر) وفي حديث انس رضي الله عنه ، أن النبى صلوات الله وسلامه عليه ، كان أزهر اللون ، ولم يكن أمهق ... الخ الحديث .

أسود : يقال في ترتيب السواد على القياس ، والتقريب : أسود وأسحم ، ثم جون وفاحم ، ثم حالك وحانك ... ثم غربيب ، وغدانى . وترتيب سواد الانسان هو :

اذا علاه أدنى سواد فهو : أسمر .

فاذا زاد سواده ـ مع صفرة تعلوه فهو : أصحم .

فاذا زاد سواده على الصفرة : آدم .

فان زاد على ذلك فهو : أسحم .

فان اشتد : فهو أدهم .

وللمبالغة في الالوان يقال : أحمر قانىء ، وأصفر فاقع ، وأبيض ناصع ، وأسود حالك أو فاحم ، وأخضر ناضر .

وفي (ما تلحن فيه العامة) للزبيدى : يقولون :

ثوب أخضر مشرب ـ بكسر الميم وتشديد الراء المفتوحة ـ والصواب : مشرب « بضم الميم أو فتحها » . كأنه أشرب هذا اللون ، وتولع به العامة فلا يقولونه الا على الأخضر خاصة ، وهو جائز في سائر الألوان .

الأستاذ : يقال للماهر بصنعته (أستاذ) . ولم ترد هذه الكلمة في الشعر الجاهلى ، فهى على ذلك ليست عربية ، ولو كانت عربية لوجب أن يكون اشتقاقها من (الستذ) وليس ذلك واردا في اللغة .

اللغة العربية في مواجهة التحديات

سنعرض في هـــذا المقال لبعض التحديات التى تعرضت لهـا اللغة العربية بهدف القضـاء عليها ومحوها ، ســواء أكان ذلك في صورة حملات جماعية أم حملات فردية تتخفى تحت دعوات الاصلاح ، ونوضح الى أى مدى استطاعت لغة القرآن الكريم ـ على الرغم من تلك التحديات العديدة ـ الصمود في وجه تلك المؤمرات ، وأن تتجاوزها الى البقاء والخلود .

أولا : الحملات الجماعية :

كانت الحروب الصليبية سنة ٤٦٠ هـ على البلاد العربية ، والتى استمرت طوال مائتى عام تمثل التحدى الأول للغةالعربيةوأبنائها ، فقد خرجت تلك الحملات المتوالية من أوربة متجهة الى بيت المقدس ، فاحتلته ، كما احتلت معظم أجزاء فلسطين وأجزاء من الشام ،وعلى الرغم من المجازر المروعة التى قام بها المسـيحيون بهدف القضـاء على اللغــة العربية وأهلها ، لم تهن أو تضعف ، وخرجت من هــذه المعركة ، بل تؤثر تأثيرا مباشرا في لغات الغازين المحتلين .

كما لم يكن احتلال التتار لبغداد ســنة ٦٥٦ هـ ، وقتل علمائها والقاء كنوز العربية في نهر دجلة ، الا محاولة أخرى للقضاء على لغة القرآن وآدابها ، وحرصا على استئصال كل ما يساعد على بقاء هذه اللغة . وكانت نكبة عظيمة بقتل التتار العلماء اللغويين ، حتى كاد أفق الشام ومصر يصفر من النحاة وأهل اللغة ،عندئذ تتدخل العناية الالهية ، فيشرح الله قلوب التتار للدخول في الاسلام ، فيعلن رئيسهم ـ آنذاك ـ (غازان) اسلامه سنة ٦٩٤ هـ ويسلم معه نحو مائة ألف

من أتباعه (١) ، ويفتح الله قلوبهم لمحبة الاسلام ، ويأخذون في مساعدة العلم والعلماء ، ويستقدمون كبار النحاة واللغويين من الاندلس والمغرب ، فيجددون اللغة ، ويبثون فيها الحياة من جديد في مصر والشام ، وتأخذ العربية في التغلغل في لغة التتار ، وعندما تنحسر من بلاد العرب ، تخرج وهى تحمل في طياتها آلاف الكلمات العربية ، ثم تنتقل ـ عن طريق لغة التتار ـ الى لغات أهل البلاد الاخرى التى فتحها التتار باسم الاسلام ٠

كما كان الاحتلال التركى لبلاد الاسلام ، احدى المحن التى ابتليت بها اللغة العربية ، وامتحانا عسيرا من الامتحانات التى خاضتها ٠ فقد سلك هذا الاحتلال العديد من السبل بهدف القضاء على اللغة العربية ، حيث أغلق العديد من المدارس ، وتعمد عدم الاتساع في التعليم ، أو فتح مدارس جديدة ، لأنه يعلم أن العلم هو الطريق الى ادراك الشعوب لحقوقها والمطالبة بحرياتها ٠ وكان من نتيجة هذه السياسة أن تفشت الأمية بين أبناء الامة العربية ، مما أثر على اللغة ، وساعد على ذلك سياسة التتريك التى انتهجها المستعمر ، حتى لم يعد للعربية مجال بين أبنائها غير المساجد للصلاة والوعظ وقراءة القرآن ٠

وامعانا في الوصول الى ذلك الهدف ، قامت السلطات التركية بمحاولات عديدة : بهدف القضاء التام على لغة القرآن ، وكان لها ـ للأسف ـ آثارها البعيدة على اللغة العربية ٠ ومنها :

(أ) الحملة الطورانية :

فقد نشرت جريدة « طنين » التركية صورا لبرقيات وقع عليها

---

(١) راجع مغول ايران بين المسيحية والاسلام ص١٦ لمصطفى طه بدر

خمسة وعشرين مسـلما من مصر والجزائر وأفغانسـتان وطشـقند والصين ، وبلاد أخرى دعوا فيها المسلمين الى استعمال لغة واحـدة فيما بينهم ، ثم اشترطوا أن توجد في هـذه اللغة صفات خاصـة لا تتوفر الا في اللغة التركية • وقد وضـح ذلك عندما ذكر هؤلاء أن اللغة التركية هى لغة أكبر دولة اسلامية ، ثم مطالبتهم بأن تكون هذه اللغة لغة المسلمين جميعا • الا أن المسلمين لم تخف عليهم هذه الاحابيل التى تحاك ضد لغتهم ورفضوا ذلك رفضا قاطعا ، وخاصة بعد أن تبين لهم أن أصحاب تلك الدعوة من الطورانيين المتعصبين •

(ب) هجر الحروف العربية :

بعد أن قام مصطفى كمال أتاتورك بانقلابه عام ١٩٢٧ م أمر ـ بدافع من التحرر ـ باتخاذ الحروف اللاتينية في كتابة التركية بدلا من الحـروف العربية التى اتخـذها الأتراك ، ولم يقو أحد على معارضة أتاتورك باعتباره يمثل السلطة العليا في البلاد ونفذ اقتراحه •

وبذلك تخلصت تركيا من حروف العربية لتقع أسيرة للغة أجنبية ليس بينها أية رابطة من لسان أو تاريخ •

(د) تنقية التركية مما تبقى بها من عربية :

وبحجة تصـقية اللغة التركية من الدخيل اليها ، عقد مؤتمر أنقرة سنة ١٩٣٢ م برئاسة مصطفى كمال أتاتورك الذى قرر حذف ثلاثة عشر ألفا وسـتمائة وخمسين كلمة عربية من اللغـة التركية واحلال كلمات تركية محلها •

وبذلك انحسرت اللغـة العربية عن تركيـا وفقدت بذلك تراثا ضخما من علومها وآدابها •

فاذا أضفنا الى ذلك كله ما كانت تقوم به الحملات التبشيرية المسيحية ، ومدارس الارساليات والبعثات الأوربية التي كانت تتستر وراء أغراض انسانية تارة كالمستشفيات والمدارس ، وصريحة الهدف تارة أخرى كالتبشير ودراسة القرآن وآدابها بهدف الطعن والتشكيك ، وتمهيدا لاكتشاف نقاط الضعف عند العرب ، لبذر بذور الفرقة بينهم • وكذلك ما كان للاستعمار الأوربي في العالم العربي من محاربة للغة العربية وفرض لغته في دواوين الحكومة والمدارس ، لتبين لنا أن لغتنا العربية تعرضت لعديد من المحن والمؤمرات كانت كل واحدة منها كافية للقضاء عليها وانفراط عقدها •

الا أن ذلك كان بمثابة النار التي تصهر المعدن النفيس ليخرج منها أصفى مادة وأمتن عودا في مواجهة الحاقدين والمتعصبين ، وتبقى أبدا لغة أعظم الكتب السماوية الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » • يقول المستشرق الأمريكي «وليم رول» مدير مدرسة المباحث الشرقية الأمريكية في القدس سابقا :

« ان اللغة العربية لم تتقهقر فيما مضي أمام أى لغة من اللغات التى احتكت بها ، وينتظر أن تحافظ على كيانها في المستقبل ، كما حافظت عليه في الماضي ، وللغة العربية لين ومرونة يمكنانها من التكيف وفقا لمقتضيات هذا العصر • ان اللغة التركية من خلال مائتين وخمسين عاما لم تستطع القضاء على العربية أو حتى على اضعاف مكانتها (١) » •

ثانيا : دعوات خادعة ••• وافتراءات واضحة :

لم تتوقف المؤمرات والدسائس ضد اللغة العربية ، والنيل منها عند الغزوات الهمجية على أقطار الوطن العربى ، أو سيطرة الحكام

---

(١) عن كتاب « اللغة العربية بين حماتها وخصومها » ص ٢٨ •

الأجانب وفرض نفوذهم ولغتهم على البلاد . بل اضطر أعداء العربية ممن يضمرون لها الحقد الدفين - على مر الزمن - بعد أن باءت حروبهم السافرة ضد اللغة العربية بالفشل ، الى تغيير خطتهم القائمة على القوة ، الى خطة أكثر مرونة وأشد خطرا ، وهى خطة التشكيك في اللغة العربية ، وفي قابليتها للتطور أو صلاحيتها للحياة لأنها جامدة لا تساير الحضارة . فظهرت أول حملة من هذا النوع سنة ١٨٨٠ م وتزعمها العلماء الانجليز والألمان الذين أخذوا يتجهون الى الاقناع بسلامة الرأى المقترح ، ويبررون دعوتهم هذه بالحرص الشديد على حب الخير للعرب أولا ، وخدمة المعرفة ثانيا . فدعوا الى احلال العامية محل الفصحى ، مع كتابتها بالحروف اللاتينية ، بحجة أن العربية الفصحى لم تعد صالحة للحياة الجديدة والحضارة الحديثة .

وقد عناوا عدم صلاحية العربية الفصحى للتطور بما يأتى :

(أ) الازدواج اللغوى المتمثل في وجود لغة للكتابة ، ولهجة عامية للحديث اليومى العادى .

(ب) صعوبة تعلم الفصحى لتعقيد نحوها وصرفها وكثرة الخلاف فيه .

(جـ) صعوبة كتابتها ونطقها لخلوها من حركات المد .

(د) صعوبة الاحاطة بها لكثرة مفرداتها ومترادفاتها .

(هـ) عدم مسايرتها لمستلزمات الحضارة . حيث لم تتسع للمصطلحات العلمية وأسماء المخترعات الحديثة .

وتحت هذا القناع المزيف أخذت هذه الدعوة تنشر سمومها بين أصحاب النفوس المريضة من العرب ، فأخذوا يرددون هذه الدعوة ، وأخذوا يعلنون أن اللغة العربية قد فقدت صلاحيتها للحياة ، وأن

اللهجات العامية ستقضي عليها وتحل محلها ، كما قضت اللهجات الأوربية على اللغة اللاتينية الكلاسيكية وحلت محلها ، ولذا يجب نبذ اللغة العربية ، واتخاذ اللهجات العامية كلغة رسمية في مجال الكتابة والخطابة ، وكتابتها بالحروف اللاتينية لكثرة حروف المد فيها ، وتجنبا للخطأ في الكتابة ، وتيسيرا على الناس في التعامل اليومي •

وكان في مقدمة هؤلاء المتجهين هذه الوجهة : سلامة موسي ، وعبد العزيز فهمي ، واسكندر المعلوف ، وجميل صدقي الزهاوي وغيرهم •

سلامه موسي والدعوة الى العامية :

كان « وليم ولكوكس » المهندس الانجليزي المقيم بمصر من أوائل الداعين الى استعمال العامية والبعد عن اللغة العربية الفصيحة ، وكانت دعوته عام ١٨٩٣ م من أكثر الدعوات عنفا وأشدها تعسفا ، لا لما قامت عليه من أسس علمية أو أدلة عقلية ، بل لما انزلقت فيه من قلب للحقائق ، وتعسف في الأحكام •

فقد ألقى محاضرة في نادى الأزبكية تحت عنوان : « لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين للآن ؟ ثم نشرها في مجلة (الأزهر) « بعد أن آل أمر اصدارها اليه بعد أن تركها مديرتحريرها السابق : ابراهيم مصطفى عند تعيينه ناظرا لمدرسة دار العلوم العليا » • وقد أرجع « ولكوكس » سبب عدم وجود قوة الاختراع لدى المصريين اليوم الى كتابتهم باللغة العربية بدلا من اللهجة العامية التي لو كتبوا بها لوجدت لديهم ملكة الاختراع ، ولنمت بقوة •

والمقال طويل وينطوى على كثير من المغالطات والنتائج التي

لا تقوم على أى سند علمى أو عقلى (١) ٠

ولم يترك المخلصون المحبون للغتهم هذا الحاقد يستمر في مغالطاته وأكاذيبه ، وتوالت المقالات المعارضة عليه ، ومن بينها مقال رئيس تحرير مجلة الأزهر السابق - الأستاذ ابراهيم مصطفى - الذى نقض آراء « ولكوكس » وأبطل أكاذيبه بأسلوب علمى واضح ، مما اضطره الى أن يقفل باب النقاش في هذا الموضوع ، اذ المستفيد من ذلك خصمه المعارض ، وهو ما لم يكن يهدف اليه من وراء ذلك٠ وقال معتذرا : « وما أوقفنى هذا الموقف الا حبى لخدمة الانسانية ، ورغبتى في انتشار المعارف ، وما أجده في نفسي من الميل اليكم الدال على ميلكم الى (٢) » ٠

الا أننا - للأسف الشديد - نجد سلامه موسي يأخذ في ترديد ما قاله « ولكوكس » مستخدما أسلوب الاغراء بذكر ميزات الحروف اللاتينية والفوائد التى ستعود علينا اذا ما نحن قبلنا دعوته ونبذنا الفصحى وحروفها اكتفاء بالعامية ٠

لقد تتبع سلامة موسي خطوات « ولكوكس » ودافع عن فكرته وأشاد بهجومه على العربية الفصحى مؤكدا أنها سبب تخلف العرب، كما زعم أن « ولكوكس » يفكر في مشاكل المصريين أكثر من تفكيره في مشاكل الانجليز ٠

وكانت حملة سلامة موسي هذه أشد عنفا وأبلغ خطرا من حملة « ولكوكس » فقد ازدرى أمجاد العرب جميعهم واستهان بمقدساتهم،

---

(١) راجع المقال فى كتاب تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها فى مصر لنفوسة زكريا سعيد ص ٣٤ - ٣٥ ٠
(٢) المرجع السابق ص ٣٦ ٠

وذلك مالم يكن يجرؤ عليه « ولكوكس » وأمثاله من الاجانب أصحاب تلك الدعوة المسمومة • يقول سلامة موسي :

« يا للعار ! يا للعار ! يا للخجل ! ••• من هذا الأدب الصعب الملوكى والله لو ألف أدباء الشعب قصائدهم وقصصهم باللغة العامية وكسروا ألف قاعدة من قواعد النحو لكانوا أشرف من أحمد شوقى وعلى الجارم ومن سار خلفهما أو حذاءهما من الكتاب الملوكيين (١) » • يقول هذا في حق الأدب العربى والمنتسبين اليه ، وفي نفس الوقت يكتب مشيدا بأبناء الغـرب ممجدا لهـــم فيقول « نحن على يقين بأنه اذا كانت الشمس تشرق من الشرق فان النور يأتى الينا من الغرب » • بل لقد امتهن الأدب العربى أشد امتهان في قوله عنه : « هو الأدب العربى القديم الذى ينأى عن القيم والأوزان الانسانية العصرية ، أو هو أدب الترف كما يقول طه حسين ، وكما يفهم هو عن معنى الأدب عامة ، هو أدب التسلية للملوك والأمراء ، وهو أدب اللغة الجنسـية النسوية والشاذة ، هو أدب المنازعات الحزبية والمناقشة الدينية (٢) •

بهذا الهجـوم الضارى على أدبنا ومقدساتنا ، وبهـــذه الروح الحاقدة على العربية وأبنائها ، يخرج علينا « سلامة موسي » وليس وراء ذلك كله سوى التعصب الاعمى والحقد الدفين على لغة القرآن •

ولذلك فقد أصاب « زكى مبارك » كبد الحقيقة عندما قال :

« ان تجنى سلامة موسي على مؤرخى الأدب بغير حق ، دليل على أنه جاهل جهول •••• انه يعادى لغة العرب لسبب بسيط وهو : أنهـا لغة القرآن المجيد (٣) » •

---

(١) الأدب للشعب لسلامة موسى ص ٤٢ •
(٢) المرجع السابق ص ٥٧ •
(٣) راجع المعارك الأدبية ص ١٧٥ •

ويقرر سلامة موسي ٠٠ ذلك بنفسه فيقول :

« لقد ألفت كتابا عن الذين علموني ، ولم أذكر بينهم معلمي الاول « كارل ماركس » لأسباب يعرفها أعداء الديمقراطية ، وربما كان الأزهر أكبر ما عاق تفكيري الحر (١) » ٠

ان العربية لا يضيرها مثل هذه الأقوال التي تصدر من مأفونين حاقدين ، كما لا يرفع من شأنها تلك الاقوال التي تقرر أهميتها وأصالتها بين لغات العالم لأنها حقائق ثابتة ، ولكننا نحب أن نسمع أنصار سلامة موسي ومن على شاكلتهم قول أب من آباء اليسوعيين، ليكون ذلك بمثابة صفعة على وجوههم من أقرب الناس اليهم لعلهم يفيقون أو يثوبون الى رشدهم ٠

يقارن الأب « روفائيل نخلة اليسوعي » بين العربية واللغات الأخرى من حيث تأثيرها وامتداد سلطانها ، فيذكر أن اليونانية واللاتينية لم يكن لهما تأثير يذكر الا في لغات أوربا وكذلك الفرنسية والانجليزية لم يتجاوز نفوذهما في العالم حدود تأثير اليونانية واللاتينية ٠٠ الى ان يقول : بعكس ذلك نرى للعربية ـ مع تناقص سطوع شمس آدابها عدة عصور قبل القرن التاسع عشر ـ تأثيرا واضحا غير يسير في نحو مائة من اللغات واللهجات الناطق بها أرقى الشعوب في أنحاء أوربا وأميركا واستراليا ونحو خمسين من شعوب آسيا وأفريقيا ، ان هذا المجد المختص بلغة الضاد أمر أعجب العجاب حيث يثير قوى العقل لاكتشاف أسبابه (١) » ٠

---

(١) سلامة موسى وأزمة الضمير العربي ص ٧٥ ٠
(٢) غرائب اللغة العربية لوفائيل نخلة اليسوعي ص ١١٨ ٠

وبذلك نرى «اليسوعى» يقرر حقيقة هامة ، وهى تفوق العربية على جميع اللغات في التأثير وحمل الثقافات · والواقع أن اللغة العربية كانت المشعل الذى أضاء ظلمات العصور الوسطى ، بل كانت السبب المباشر في حضارة أوربا بأسرها لا يستطيع أن يمارى في ذلك أحـــد حتى الموتورين الحاقدين أمثال سلامة موسي لأن التاريخ سجل ناطق بهذه الحقائق الثابتة ·

ونستطيع أن نقول بعد هذا : ان ما ردده سلامة موسي من دعوة الى العامية وكتابتها بالحروف اللاتينية ، انما كان ترديدا لما طرحه المفكرون الأجانب أمثال « ماسينون وبنيار » الفرنسيين ، و« ولهلم سبيتا وكارل فولرس » الألمانيين ، و «سلدن ولمور ووليم ولكوكس» الانجليزيين ·

وكان وراء تلك الدعوات المضللة ـ التى تتخذ من الأسباب اللغوية حجة تتستر وراءها ـ دوافع خفية لا تعود الى اللغة نفسها ، بل الى دافع شعوبى يكمن وراءه الرغبة في القضـــاء على خصائص العرب اللغوية ، وتراثهم اللغوى الذى يتميزون به ويعتزون · الى جانب اغراق العربية في سيل من الألفاظ الأعجمية دون قيد أو شرط ، وبذلك يمســـخ وجه العربية وتنمحى معالمها وقواعدها ويقضي على الوحدة العربية المتمثلة في الوحدة اللغوية ·

بل اننا نجـــد من هؤلاء الأجانب من تراجع عن دعوتــه تلك ، وآرائه التى هاجم بها اللغــة العربية ، وكان منصـــفا فأبدى رأيه الصريح في لغتنا بعد أن عكف سنين طويلة بحثا وتنقيبا وتأليفا واستبان له خطل رأيه ، وفساد ما ذهب اليه فيما هاجم به لغة الضاد·

وفي مقدمة هؤلاء : المستشرقون : لويس ماسينون الفـرنسي ،

ويوهان فك الألماني ، ومرجليوث أستاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد ، ووليم رول الأمريكي . يقول المستشرق الفرنسي «أرنست رينان» - وهو ممن عرفوا بتعصبهم ضد اللغة العربية وضد حضارة العرب ودينهم ، ثم غير موقفه هذا بعد الدراسة والبحث - : « إن أغرب ما وقع في تاريخ البشر ، وصعب حل سره ، هو انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء ، فبدت فجأة في غاية الكمال ، سلسة أي سلاسة ، غنية أي غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ يومنا هذا أي تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة . ولم يمض على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة، حتى اضطر رجال الكنيسة الى أن يترجموا صلواتهم باللغة العربية ليفهمها النصارى . ومن أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل . تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها .. » (١) .

موقف المفكرين العرب من هذه الحملات :

لقد أثارت هذه الحملات المسعورة على اللغة العربية ، العديد من المعارك العنيفة من الجدل حول مشكلة اللغة العربية ، وانقسم المفكرون العرب الى مؤيد لهذه الدعوة من أمثال : سلامة موسى ، وعبد العزيز فهمى في مصر، وأنيس فريحة واسكندر المعلوف في لبنان، والخورى مارون غصن من سورية ، وجميل صدقى الزهاوى ومعروف الرصافي في العراق . وكان هؤلاء امتدادا لتلك الحملات الشرسة من المفكرين الأجانب حيث رددوا نفس الأفكار والدعوات التى دعا اليها هؤلاء المفكرون الغربيون .

(١) عن اللغة العربية بين حماتها وخصومها ص ٢٥ .

والى منافع ومنافح عن العربية ، حيث أحس هؤلاء بالخطر يتهدد قلاع العربية ، وبالأفكار المسمومة تتقاذف لغتهم ، فنفروا جادين ومخلصين في الدفاع عن لغتهم وبيان مافيها من ذخائر ونفائس وما تحمل في أطوائها من مقومات البقاء والخلود .

ولم تقتصر جهود هذا الفريق على الدفاع عن اللغة العربية ، والتصدى لتلك الهجمات الضارية من الغربيين أو العرب ، بل نشط بعضهم الى وضع المؤلفات في علم اللغة وبيان قدرتها على التطور ومجاراة المدنية الحديثة ، أو يعالج مشكلاتها ، ويضع الحلول الواضحة لما يمكن أن يمثل عقبة في سبيل تطورها ونموها .

وسنعرض لجهود بعض علماء اللغة في العصر الحديث ، ممن يمثلون ذلك الفريق الأخير ، وكان لهم دور واضح في الدفاع عن لغة الضاد أو الاسهام بجهودهم في دراسة بعض الجوانب المضيئة في حياة هذه اللغة .. (١) .

١ - ابراهيم مصطفى :

كان ابراهيم مصطفى من الكتاب الذين دافعوا عن اللغة العربية بالكلمة وحاولوا اصلاحها بالفكر والعمل ، فقد كان يتولى تحرير مجلة الازهر ، فلما عين ناظرا لدار العلوم تخلى عن تحرير المجلة ليتولاها « وليم ولكوكس » مهندس الرى الانجليزى - آنذاك -

---

(١) لايعنى حديثنا عن بعض الشخصيات أن أصحابها كانوا أشهر من غيرهم ممن أغفلنا ذكرهم ، بل هناك الكثير من الشخصيات ذات الجهود الواضحة ولايتسع هذا البحث للاحاطة بهم ، أمثال :
حفنى ناصف ، أحمد تيمور باشا ، لطفى السيد ، عباس العقاد ، محمد كرد على ، خليل اليازجى وغيرهم .

واتخـــذ « ولكوكس » هـــذه المجلة مطية لبث أفكاره واتجاهاته العدائية ضد العـــرب والعربية • وقد بلغ من غرور « ولكوكس » وتحديه للرأي العام الاربى أن دعا العلماء المصريين لمناقشة دعوته على صفحات مجلة الأزهر ، فرد عليه كثير من أصحاب الفكر والقلم ، وكان في مقدمتهم ابراهيم مصطفى ، الذى أخذ يناقش «ولكوكس» في دعوته مناقشة منطقية مدعمة بأدلة عقلية وعلمية ، مستمدة من تاريخ اللغات ، ومن الخبرة الواسعة بطبيعة هذه اللغات وتطورها • فقد بين الكثير من مميزات العربية الفصحى وقيمتها بين اللغـات الاخرى ، كما كشف عن الكثير من عيوب العامية ، وبرهن على أنه لا يمكن أن تتألف من انحرافها ومزيجها ـ المكون من الأصيل المحرف والدخيل الخام والمعرب ـ لغة تصلح للحديث والكتابة •

وفي مجال مناقشته الأدلة التى اعتمد عليها دعـــاة العـــامية قـــال (١) :

ادعاء أن الاستكشافات كثيرة وليس في العربية كلمات للدلالة عليها ، اعتراض ضخم في الظاهر ، فارغ في الحقيقة • وان هـــذا الاعتراض يصدق على جميع اللغات ، لأن اللغات ما دامت موضوعة ، فألفاظها انما وضعت طبقا لما هو معلوم ، لا لما هو مكنون في طى الخفاء والغيب ، فكل مستكشف كان غير معلوم ومستكشفه يصطلح له على لفظ يتخذه اسما له ، وباب الاصطلاح ليس مغلقا في العربية ومفتوحا في غيرها ••• وادعاء العدول عن الفصحى الى العامية لمثل هذه الاصطلاحات لا محل له ، لأن هـــذه الاصطلاحات التى كانت مجهولة في الفصحى لم تكن معلومة للعامة ومسماة في لغتهم ، والمعقول

---

(١) عن كتاب تاريخ الدعوة الى العـامية وآثارها فى مصر ص ١٠٤ وما بعدها •

أن هذه المصطلحات يستعملها العلماء أولا ، ثم تصل الى العامة بنشر العلماء لها ... وادعاء أن العامية يمكن ضبطها واستخدامها في الكتابة ، ادعاء باطل لا يمكن تحقيقه ، ذلك لأن الكلمات المستحدثة عن الخلط في العامية قليلة جدا لا تتألف منها لغة ، والكلمات والتراكيب العربية المحرفة في العامية كثيرة ، ولكن هذا التحريف ، وعدم مراعاة القواعد ليس واحدا عند الناس ، ولا متفقا عليه ، بل كل واحد يذهب فيه ما شاء فهو مختلف باختلاف الافواه من غير فائدة ولا رابطة شأن كل تغيير يكون قد حصل لا عن ضرورة اليه ، بل عن الجهل . والجهل لا يكون الا من عدم التعلم ، وبسبب جريان هذه التراكيب على غير قواعد اللغة ، نرى المتكلم مضطرا دائما - حسب الموضوع - الى الاشارة باليد والوجه واجهاد نفسه لبيان المعنى المقصود ، بينما يستعيض الكاتب عن هذه الاشارات والحركات والاجهاد بتخريج عباراته على مقتضي القواعد ، فيتألق في أحكام المعنى وتجويد الأسلوب ، شأن الكتاب في كل اللغات . فاذا باللغة المحرفة غير مراعية رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف اليه ، وبغير نظر الى ما يميز المضارع من الماضي كانت الكتابة غير مفهومة ، وكان ذلك بمثابة النعدول بالعربية عن شكلها الاشتقاقى الى شكل متأخر .

وعلى فرض أننا جمعنا تحريفات العامة وأحصيناها ، ونظرنا في متشابهاتها ووضعنا لها روابط وقواعد واتفقنا على استعمالها ، فمن ذا الذى يضمن لنا عدم خروج العامة عنها مدفوعين بنفس الأسباب التى أخرجتهم عن قواعد لغة القرآن الكريم .

٢ – مصطفى صادق الرافعى :

لقد تصدى الرافعى للهجمات التى وجهت الى اللغة العربية من جانب العرب أو الأجانب ، وقد حفل كتابه «تحت راية القرآن» بالكثير من الردود والتعليقات على تلك الآراء الهجومية ٠

فقد رد الرافعى على دعاة التمصير ودعاة التقريب بين الفصحى والعامية كمحمود تيمور ولطفى السيد ، فقال :

« ان شيوع هذه الفكرة في كل أمة لها عربية ، وأخذ أهلها مأخذنا في عاميتها ، يؤدى الى انقراض العربية الفصحى ومحوها ، وان قاعدة التسامح في استعمال المفردات والتراكيب العامة ستتسع في الأجيال المستقبلة الى درجة تصير فيها الفصحى في كتابها الكريم ضربا من اللغات الأثرية ، وان قاعدة التسامح اللغوى هذه ، تشبه القاعدة الاستعمارية التى تبتدىء بالتسامح للمستعمرين والغزاة في أخذ الشيء القليل ، ثم تنتهى بالتسامح في كل شيء قل أو كثر » (١) ٠

كما رد الرافعى على أولئك الذين قالوا : ان اللغة عاجزة عن مسايرة الحضارة من أمثال : سلامة موسى ولطفى السيد وطه حسين ، فقال :

« العربية أوسع اللغات مدى وأغزرهن مادة ، وأوفاهن بالحاجة الحقيقية من معانى اللغة ، لكثرة أبنيتها وتعدد صيغها ، وانفساحها من ذلك الى ما يستغرق اللغات بجملتها ، مع أنها أقل هذه اللغات أوضاعا ، حتى أن المستعمل منها لا يتجاوز ستة آلاف تركيب » (٢) ٠

---

(١) تحت راية القرآن ص ٥١ ٠

(٢) تاريخ آداب العرب للرافعى ١/١٦٩ ٠

٣ - محب الدين الخطيب :

لقد رصد محب الدين الخطيب الكثير من صفحات مجلته (الفتح) للدفاع عن العربية الفصحى ، متصديا لهجمات أعدائها عليها ، فقد ناقش مهندس الرى البريطانى « ولكوكس » في دعوته الى العامية ، وكشف الأهداف الخفية التى ترمى اليها دعوته ، فكتب مقالا تحت عنوان : « احلال العامية محل الفصحى أمنيـــة كل من يريد هـــدم الاسلام » • وفي هذا الصدد يقول :

« ان صاحب هذه الدعوة من أعظم مهنـــدسي الدنيا في الرى والخزانات والتحكم في مجارى الأنهار ، ومعذلك فان له نزعة تبشيرية أخذت عليه لبه ، وشغلت عقله وعطلت استقامة التفـكير الرياضي في ذهنه ، فله عشرات الكتب في التبشير في المسيحية ، طبعتها له مطبعة النيل للارساليات البروتستانتية • وقد رمى بها غرضـــين بحجر واحد ، أحد الغرضين : خدمة الكنيسة ، والثانى هدم العربية بكتابة تلك الكتب العامية » (١) •

كما كتب مقالين ردا على محمد فريد أبى حديد بعد أن قـــدم مشروعا الى مجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٧ م بعنوان : « موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى » • وكان المقال الأول تحت عنوان: « لغة القرآن الكريم فقدت مرونة التطور ويفكرون في مجمعنا اللغوى الجليل بالعدول عنها الى العامية » •

وقد هاجم في هذا المقال عبد العزيز فهمى ـ أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ـ الذى قام بحملة شعواء على اللغة العربية وكتابتها ، حتى جعل تعلمها محنة وطغيانا وبغيا ، بل وصفها بأنها

---

(١) مجلد الفتح العدد ٨٤٩ سنة ١٣٦٦ هـ (العام ١٧) ت

داء وأنها سرطان ، كما هاجم هجوما ضاريا زملاءه من أعضاء المجمع ممن استنكروا دعوته وعارضوا رأيه واتهمهم بالرجعية والتخلف، ضمن رده على أبى حديد ٠

وقد جعل الفقرة الأولى من مقاله هذا تحت عنوان : (محضر اتهام وصيغة حكم) ، وبدأها بقوله : « كما توجه النيابة العامة التهم بالجرائم والآثام الى من تراه ظنينا بالاجرام،ويصدر القضاة أحكامهم عليه في تلك التهم فان مجمعنا اللغـــوى الجليل يوجد في حضرات أعضائه من يوجه اتهامه الى لغة القرآن الكريم ومن يصدر حكمه عليها . ومن عجائب مجمعنا العظيم أن قاضيه « عبد العزيز فهمى » أصدر حكمه الصارم ، عليها قبل نحو أربع ســـنوات من تكوين عناصر الاتهام الموجهة،وعرضها على أعضاءالمجمعليتداولوا الرأى فيها ، ويصدرون حكمهم الجماعى - أو المجمعى - عليها ٠ وقد عاد مجمع فؤاد الأول الى نشاطه في هذه الأيام ، وقامت سكرتاريته بطبع نسخ دن تقرير قدم اليها بعنوان : « موقف اللغة العربيـــة الفصحى » ٠ وبما أن البحث يتعلق باللغة العامية كما يتعلق باللغة العربية ، فقد أصبح من حقنا معشر العوام أيضا أن نتطفل عـــلى موائد حماة اللغة من أعضاء مجمعه ٠ وندلى معهم بدلائنا في هـــذا الموضوع لما لنا به من علاقة متواضعة » (١) ٠

٤ - ابراهيم اليازجى :

لقد أضاف ابراهيم اليازجى ثروة ضخمة الى تراث العربيـــة الخالد بما بذل في سبيل تطويرها وتنميتها من جهود ، كانت ثمارها تلك المؤلفات التى بين أيدينا اليوم في اللغة والادب والفنون والعلوم والشـــعر ٠

---

(١) مجلة الفتح العدد ٨٥٠ سنة ١٣٦٦ هـ (العام ١٧) ٠

فقد كان « اليازجى » من الأعلام في اللغة وآدابها ، كمـا كان عالما في الفلك والنبات وعلم الحيوان ، وكان شاعرا نظم الشعر في شتى الأغراض ٠

وفيما يخص علم اللغة نذكر جهوده الصادقة في هذا المجال، وفي مقدمتها مؤلفاته الآتية :

١ ـ فقد وضع اليازجى معجما في اللغة العربية أسماه « الفرائد الحسـان في قلائد اللسـان » جمع فيه مفردات تفرد بهـا عن كثير من المعاجم الحديثة في عهده ٠

٢ ـ كما جمع كثيرا من المفردات الفصيحة في كتابه « نجعة الرائد في المترادف والمتوارد » وهو كتاب من جزءين كبيرين اشتمل على أغلب ما صح وفصح من كلام العرب مما يحتاج اليه الكاتب أو المحاضر للتعبير عن الأغراض المختلفة ويعتبر هذا الكتاب بمثابة دعوة غير مباشرة الى استعمال التعبير الفصيح من العربية ٠ وقد أوضح لنا « اليازجى » في مقدمة هذا الكتاب رأيه معلنا أنه لا يؤمن بعجـز اللغة العربية عن مجاراة المدنية الحديثة والوفاء بحاجاتها ، فهى لم تعجز ابان حضارتها الزاهرة في العصـور الوسطى عن الوفاء بهذه الحاجات ، وكذلك ليست بعاجزة اليوم ، وانما العجز المنسوب اليها انما هو العجز في أهلها الذين لم يسلكوا بها سبيلا يؤدى الى تطويرها وتنميتهـا ٠

ثم يبين الخطر المحدق باللغة من أعدائها الذين يتآمرون عليها فيقول : « هذه خدمة وطنية نبذلها لأهل هـذه اللغة رجاء أن نحرر الألسنة من ربقة اللفظ الأعجمى ، وتبرأ اللغة مما يرميها به بعض المعربين ممن قصرت مداركهم عن الاحاطة بما فيها من فوائد الكلم ،

فينسبون اليها ما هم أحق بالنسبة اليه ... ثم يمر بهذه اللغة عهد هى فيه أحرج موقفا من عهدها الحالى ، فانها قائمة بين خطـــرين عظيمين : أحدهما ما طفح عليها من جانب العالم الغربى من ألوف الأوضاع والمصطلحات التى لا غنى لنا عن استعمالها ، واللغة خلو منها ، والثانى ما نرى من تضافر العناصر على تسقط دعائمها ودرس معـــالمها (١) .

٥ – الأمير مصطفى الشهابى :

كان الأمير مصطفى الشهابى – رئيس المجمع العلمى بدمشق – علما من أعلام اللغة العربية فى مجال تنميتها وتطورها ، ووضـــع مفرداتها فى معاجم حديثة فى العلوم المختلفة ، حيث أمد اللغة العربية بآلاف من الألفاظ فى المصطلحات العلمية المختلفـة التى كانت كفيلة باغناء العربية وسد حاجاتها ، مما جعلها تقضى على كثير من الألفاظ المرادفة لها .

لقد وضع الشهابى معجما فى الألفاظ الزراعية ، طبـــع المرة الأولى سنة ١٩٤٣ م باللغتين العربية والفرنسية ، كما أشرف على وضع المعجم العسكرى للقوات المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦١ م وصدر باللغتين العربية والفرنسية أيضا .

كما وضع معجما فى المصطلحات الجراحية صدر ســـنة ١٩٦٢ م باللغات العربية والانجليزية والفرنسية أيضا .

أما عن رأيه فى قدرة اللغة العربية على مجاراة المدنية الحـــديثة ومدى قابليتها للتطـــور ، فقد لخصه لنا مبينا أن العـــربية أثبتت

(١) نجعة الرائد فى الترادف والتوارد ص أ من المقدمة .

قدرتها بالفعل ولكن أهلها لم يثبتوا قدرتهم بعد ، فقال : « أن في اللغة العربية مرونة وصفات تساعدها على أن تساير التطور والتحدى اذا ما ساير أهلوها التمدن والتطور • واننا نجد أنه قد مر على انشاء كلية الطب في دمشق خمس وثلاثون سنة ، وهى ثابتة تعلم العلوم بالعربية وتبرهن على أن هذه اللغة لا تعجز عن مجارات اللغات الأخرى اذا تعهدها أبناؤها وأخلصوا لها » (١) •

أما عن الوسائل التى يجب أن نأخذ بها لتنمية اللغة العربية ، فقد بينها لنا « الشهابى » مرتبة بحسب أفضليتها ، بحيث اذا تعذر الأفضل لجأنا الى الذى يليه في الأفضلية ، ولا تلجأ الى أدنى مرتبة منها الا عند الضرورة • فيقول :

« نمت اللغة العربية بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب ، وهى الوسائل التى رجع العلماء والنقلة اليها عندما وضعوا آلاف المصطلحات في صدر الاسلام ، سواء في العلوم الفقهية واللغوية ، أو في علوم فارس ، واليونان والهند ، وغيرها من الامم • وهذه الوسائل هى التى يجب أن نتخذها في زماننا هـذا لنقل العلوم الحديثة الى لغتنـا » (٢) •

ولكنه وضع شروطا لذلك ولم يتركنا نتصرف بهذه الوسائل كما يحلو لنا ، وقد سمى هذه الشروط «شروط النقل» وأوضحها لنا في الآتى :

أ ـ تحرى لفظ عربى يؤدى معنى اللفظ الاعجمى ، وهذا يقتضينا

---

(١) المصطلحات العامية ص ٥٩ •
(٢) المصطلحات العامية ص ٩ وما بعدها •

أن نكون مطلعين اطلاعا واسعا على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعاجم العربية وفي مختلف كتبنا العلمية القديمة .

ب - اذا كان اللفظ العلمى الأعجمى جديدا ؛ أى ليس له مقابل في لغتنا ، ترجمناه بمعناه كلما كان قابلا للترجمة ، أو اشتققنا له لفظا عربيا مقاربا ، ونرجع في وضع اللفظ العربى الى الوسائل التى تكلمنا عليها وهى : الاشتقاق والمجاز والنحت .

جـ - اذا تعذر علينا وضع لفظ عربى بالوسائل المذكورة . عدنا الى التعريب مراعين قواعده قدر المستطاع (١) .

٦ - أحمد السكندرى :

لقد دافع السكندرى بلسانه وقلمه عن اللغة العربية ، وبذل في سبيل تطويرها وتنميتها جهودا عظيمة .

وفي سنة ١٩١١ م اختير السكندرى عضوا في وفد مصر الى مؤتمر المستشرقين في بلاد اليونان مع الشاعر أحمد شوقى وأحمد زكى ، وحفنى ناصف . فألقى السكندرى خطابا في المؤتمر عن « اللغة العربية الفصحى » ثم عرض على المستشرقين استفتاء في رأى « يعقوب أرتين » وكيل وزارة المعارف آنذاك - وكان موضوع الاستفتاء : هل يجوز أن تحل في بلد لغة عامية - وهى لغة السواد الأعظم - محل اللغة العربية الفصحى في الكتابة علما بأن لغات هذه البلاد العامية تختلف كل واحدة منها عن الأخرى ؟

ثم بين السكندرى للمستشرقين أنه قد ألف في لهجات هذه البلاد

---

(١) المرجع السابق ص ٨٣ .

العامية كتابا بعد أن استغرق في بحث هذه اللغات بضع سنين ، وبعد أن نوقش خطاب السكندري ، ونوقشت النتائج التي توصل اليها ، أصدر المؤتمر قرارا هذا نصه : « ان اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الاسلامية العربية للتخاطب والكتابة والتأليف ، وأن واجبات حكومات هذه البلاد أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضي على اللهجات العامية : التي لا تصلح كلغة أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق » (١) .

بهذه العقلية الرحبة ، أقنع السكندري المستشرقين بصلاحية العربية الفصحى لمسايرة الحضارة ، وبهذا المنطق الواضح ، كان السكندري يفحم خصومه ، وبه كان يحل المعضلات حتى لقبوه : « مخ المجمع » .

قال عنه منصور فهمي : (كنا نقول في المجمع : أرجئوا المسألة حتى يحضر السكندري ، فعنده حل ما استعصي علينا) .

مي زيادة وموقفها من الدخيل والعامية والفصحى :

ومن تمام الحديث في موضوع العامية والدعوة اليها ، ولمزيد من القاء الضوء على بعض الآراء الهامة في هذا المجال ، أرى من الواجب علينا أن نعرض لرأي ذي أهمية خاصة ، لأنه لكاتبة مسيحية ، كان من المنتظر منها أن تقف من الدعوة الى العامية موقف المؤيد والمناصر ، أو على الأقل لا تتعرض لهذه القضية في كتاباتها ، وتتركها دون الخوض فيها أو الاشارة اليها . ولكننا وجدناها تتصدى لهذه الدعوة وتناقشها مناقشة علمية جادة ، وتكشف عن كثير من الأخطاء والمغالطات التي حاول دعاة العامية أن يتجنبوها أو يتجاهلوها أثناء عرضهم للموضوع .

(١) اللغة العربية بين حماتها وخصومها ص ١٥٠ .

وفي بداية عرضنا لرأى الكاتبة (دى) أوضح أن هذا الرأى جاء في أكثر من مقال لها (١) أثناء تساؤلها عن أسباب توقف المجمع اللغوى الناشيء عن عقد اجتماعاته التى بدأها أعضساؤه في دار الكتب المصرية ؟ وما كان من استخفاف جريدة « الاجيبشن ميل » الانجليزية بالمجمع وبأعماله ، وما أوردته هذه الجريدة على لسان « سبيرو » من دعوة المجمع - اذا أراد لعمله النجاح - أن يعمل على وضع قاموس للغة العامية ودمج هذه الكلمات في اللغة العربية ٠

يقول « سبيرو » : « ان المجمع اللغوى لا فائدة فيه الا اذا جعل غايته تلقف جميع الكلمات الشائعة بين العامية ودمجها في اللغة ، لان اللغة ملك الأمة وفي يد الأمة حياة اللغة وموتها ، وان لم يكن لهذا المجمع من مثيل الا في فرنسا أفنحسب سائر الأمم عاجزة ركيكة البيان لان لا أكادمية لها ؟ كلا ان الغربيين لا يقضون وقتهم في مثل هذه المحاكمات الباطلة ولديهم مايصرفهم عنها من المشاكل الخطيرة ، وكما أن اليونان والطليان لا يجهدون النفس لاحياء لغتهم القديمة ، ويكتفون بلغتهم الحديثة التى تتفق فيها السهولة والتراكيب والاصطلاحات - مع حاجات العصر ، كذلك على المتكلمين باللغة العربية أن يطرحوا اللغة الفصحى بصعوبتها وتعقيدها جانبا ، وأن يأخذوا بكل لفظة تدور على الألسن لأنها تؤدى معنى من المعانى المطلوبة ٠ فاذا اعتزم المجمع اللغوى على ذلك عمله نافعا ٠ والا فليدع الشعب وشأنه يتصرف بلغته كما يشاء » ٠

هذا جزء من مقال « سبيرو » الذى نشرته مجلة «الاجيبشن ميل »

---

(١) راجع مقالها : « والمجمع اللغوى ؟ » ص ٣٧ ، ومقال « الاجبشن ميل تضحك » ص ٣٩ ومقال « مارلنا فى الموضوع » ص ٤١ ، ومقال : « الاجبشن ميل تناقش » ص٤٦ فى كتابها « بين الجزر والمد » ٠

الانجليزية في عددها الصادر في أول يناير ١٩١٩ تعقيبا على مقال للكاتبة الشهيرة (مي زيادة) والذى ذكرت فيه أن المجمع اللغوى كان يلتئم كل أسبوعين في دار الكتب المصرية بدعوة من مديرها السابق (أحمد لطفى السيد) وأن هذه الجلسات ظلت تنعقد في الشتاء الماضي حتى جاء الصيف فتوقفت جلساته الى أن انكسر الصيف ورجع الناس من مصايفهم ، عاد المجمع الى الالتئام في دار الكتب ، وكل من لجانه تشتغل على حدة لعرض خلاصة أبحاثها على هيئة المجمع ، فهذه تبحث عن الاصطلاحات العلمية وتلك عن الاصطلاحات الفلسفية ، وتعنى غيرها بالمسميات السيكولوجية .. الخ . حتى جاءت الحركة المصرية تهز الامة منذ ١٣ نوفمبر ١٩١٩ ، فاستقال (لطفى السيد) من منصبه لينضم الى الوفد المصرى المجاهد في أوربة لتحرير البلاد ، فتوقف المجمع عن العمل ، وحجبت أخباره ، ولذلك تساءلت الكاتبة عن أسباب هذا التوقف قائلا : « لقد مر على الاستقالة شهر دون أن يلتئم المجمع ودون أن نقرأ عنه في الصحف شيئا فأى خطب دهاه ؟ » وكان رأى هذه المجلة الذى أعلنته على لسان « سبيرو » هو أن لا ضرورة لهذا المجمع ولافائدة من أعماله وأنها لذلك ترتاب في نجاحه أو مقدرته على البقاء .

وقد ناقشت الكاتبة (مى) هذا المقال وما جاء في جريدة (الاجبشن ميل) مناقشة واعية .

هذه الكاتبة المسيحية تنبرى للدفاع عن العرب واللغة العربية وتناقض الآراء المغرضة الهادفة الى النيل من اللغة ، وتبطل ـ عن طريق الاقناع والمناقشة العلمية ـ ما جاء في مقال « سبيرو » وأمثاله من الحاقدين على العرب ولغتهم .

تقول الكاتبة في معرض ردها على ذلك المقال ، ومانشرته المجلة

على لسان شيخ الازهر ورئيس المجمع اللغوى : بأن جلسات المجمع ستعود الى الانعقاد ، وأنهم - أى الأعضاء - « يبذلون جهودهم في ايجاد ألفاظ عربية للمسميات الافرنجية » تحت عنوان ضخم هو : (جهد المجمع الجهيد) - الذى يعمل في مضمونه السخرية والاحتقار لما أدلى به شيخ الازهر - قائلا : « اننا أجهدنا النفس كثيرا في سبيل اطلاق أسماء عربية على كثير من الآلات الزراعية ، وفي سبيل وضع تعبيرات عربية صحيحة بدلا من عديد الاصطلاحات المتداولة » .

تقول الكاتبة : « لا لوم على الصحيفة الانجليزية » ولكن أتتفضل فتقول لنا : لماذا هى تنظر الى المشروع بعين المرتاب في نجاحه ، القائل أن لا ضرورة لهذا المجمع ولا فائدة من أعماله ؟ . والا فما الذى يضحكها يا ترى ؟ . لماذا لا يجوز للمجمع اللغوى ولكل كاتب عربى أن يؤثر استعمال ألفاظ عربية دون التعبيرات الافرنجية ؟ أليست الحال كذلك عند جميع الشعوب . ولو اقتصرت على لغتها دون غيرها ألا تذكر « الاجبشن ميل » أن الانجليز أنفسهم يفضلون الكلمة السكسونية الأصل على الكلمة اللاتينية ؟ وأن كبار كتابهم اذا وجدوا أمامهم كلمتين اثنتين تؤديان المعنى تماما احداهما سكسونية والأخرى لاتينية سارعوا الى استعمال الكلمة الأولى لأنهم يرونها أفصح وأبلغ ؟ . فلماذا ينكر علينا ما هو في نظرهم عين البلاغة وكل الحق ؟ » . وتتابع الكاتبة في مقال آخر مناقشتها وردها على ما جاء في مقال « سبيرو » فتقول : يمكن تلخيص اعتراض « سبيرو » في هذه البنود الثلاثة :

أولا : يعترض على صعوبة اللغة .

ثانيا : وعلى تضاعفها بين فصحى أو كتابية وكلامية أى عامية .

ثالثا : يعترض على انشاء المجمع اللغوى ويحدد وظيفته أو بالحرى هو يحذف الحدود من تلك الوظيفة ويجعلها شائعة .

أما الصعوبة فاذا كانت بينة في اللغة العربية فهى غير محصورة فيها وأية لغة تخلو من صعوبة اللفظ أو التعبير والكتابة أو القواعد أو الزوائد التى لا منفعة لها ؟ حتى ولو كانت حديثة مختلطة كاللغة الانجليزية فكيف بالعربية – وهى من أمهات اللغات – وميزتها على جميع اللغات الشائعة في كونها اللغة القديمة الحية رغم الزمان .

ان الذين تعلموا منا الانجليزية يعرفون نطقها ويعجبون للحروف الكثيرة التى لا تظهر في اللفظ ، ومع ذلك فلا يحذفها الانجليز ويرغمون أبناءهم ، والمتعلمى لغتهم على اجهاد النفس في مالاطائل تحته . والانجلبز قوم عمليون ملكوا العالم بهذه الصفة ، وروجوا مصالحهم ولغتهم حتى صارت مع الأسبانية أوسع اللغات انتشارا ، وهم مع ذلك يحرصون على تلك القيود التى تثقل كل لغة عصرا لتسقط عنها في عصر آخر ، ويظهر أن وقت تحرير اللغة الانجليزية من تلك القيود لم يأت بعد .

ويصدق هذا على اللغات الاخرى . وهاك الألمانية مثلا : لغة العلم والتجارة والكبرياء التى يلمح أهلها في احلال الثقافة الجرمانية محل الثقافة اللاتينية في أنحاء المعمورة . فان الأطفال يتعلمون بها أبجديات أربعا : اثنتين منهما الكبيرة والصغيرة من الكتابة التى يسمونها لاتينية ، واثنتين أخريين من الكتابة التى يسمونها جرمانية . ولكل من الكتابتين حروفها وخطها كأنهما لغتان لا تتشابهان . وما هذه الا احدى صعوبات تلك اللغة العصية . الا أنها لم تحل دون تقدم الألمان في ديادين العلم والاقتصاد والفلسفة والآليات والرياضيات .. الخ . وهم يباهون بهذه الصعوبة وينظرون ببعض الازدراء الى

اللغات المشتقة من اللاتينية وينكرون عليها اسم اللغات ، بل يقولون بأنها « لهجات » .

حتى الفرنساوية نجد في كتابتها صعوبة لا شبه لها في اللغـة العربية ، فما قد يكتب عندنا بثلاثة حروف يقتضي أحيانا عندهم سبعة حروف ، والحركات التى نجد اليوم عندنا من يثور عليها ويطلب حذفها موجودة عند الفرنسويين وان اختلفت وظيفتها اللفظية بعض الاختلاف . وتعريف الأسماء الذى يحرجنا في العـــربية موجود عند الألمان وعند اليونان الذين يضرب بهم « سبيروبك » المثل .

ان اليونانية الحديثة بتصريفها وحركاتها وقواعـــدها ليست دون العربية صعوبة وتزيد عليها في اشتباك الابجدية . وحسبي أن أذكر من ذلك أن حرف الباء يكتب عندهم على سبعة أنواع : تارة بالحرف المفرد ، وطورا باتحاد حرفين من حروف العلة .

الاصطلاح ليس الهدم دواما بل هو في الغالب تبديل وصقل وتكييف . اذ ليس في صالح الأمة انكار الماضي الزاخر بالمجد الأدبى والحكمة ، كما أن الفرد الواحد من الناس لا يأتى العالم مستقلا عن أمسه وغده ، بل يأتى متصلا على رغم منه مما سبقه وبما سيلحقه ، فكذلك اللغة التى هى وحدة حية ورثناها وورثنا معها الحق في أن يكون لنفسيتنا مجموعا وأفرادا أثر فيها . أما نبذها والاستعاضة عنها باللغة العامية فاعتراف بالعجز والخزلان ، لأن اللغة تنتعش بانتعاش الأمة وتجمد بجمـــودها .

ثم تمضي الكاتبة في ردها على « سبيرو » فتقـــول : لذلك كان اقتراح « سبيروبك » بالاكتفاء باللغة العامية غـريب في بابه . ولا أدرى هل في التاريخ مثال واحد من نوع هذا التنازل والتجرد .

لئن اكتفى اليونان والطليان بلغتهم الحديثة دون القديمة ،
فلأن الشعبين الأولين اندثرا ، والذين يعيشــون في ايطاليا وبلاد
اليونان لا يتحدرون منهما مباشرة ، بخلاف العرب الذين تجد بينهم
عائلات متسلسلة منذ عهد صدور القرآن ، والشعبان الأجنبيــان
ينطقان بلغة جديدة مشتقة من القديمة ولكن لها قواعدها وأصولها
وضوابطها لا لهجة من لهجاتها الاصطلاحية ٠

ان تضاعف اللغة أمر طبيعي عند جميع الشعوب ، ففي قومية
واحدة ذات لغة كبرى تتفاهم بها في جميع أنحاء الوطن الواحد ، تجد
لكل اقليم لهجته الاصطلاحية الخاصة ، يخلد هذه اللهجة الشــعراء
والكتاب الأوفياء لبيان « وطنهم الصغير » بتجديدها دون أن يـكون
ذلك تهديدا لكيان اللغة الجامعة الكبرى ٠

وتمضي الكاتبة في بيان تعدد اللهجات الاقليمية في العــديد من
دول العالم الى أن تقول : « ونلقى التعدد نفسه في اللهجات العربية ،
فلهجة مصر غير لهجات سورية والعراق والحجاز والجزائر ومراكش
٠٠ الخ ٠ حتى لهجات تلك الأقطار نفسها تختلف فيما بينها ، فلهجة
الصعيد غير لهجة القاهرة ، ولهجة فلسطين غير لهجة لبنان ، ولهجة
لبنان غير لهجة دمشق ، ولهجة دمشق غير لهجة حلب والاسكندرونة ،
فأي هذه اللهجات نعتنق ؟ وهل من صالح أهل البلاد أن يؤلفوا لكل
لهجة منها كتبا عديدة ، ويضعوا لها أصولا وقواعد جــديدة ؟!! أليست
صعوبة اللغة الفصحى والحالة هذه أقرب الينا منالا وأقرب أساسا ؟
لا شك عندي في أن ضلع هذه البلدان معها ٠

وقد خضعت اللغة الفصحى مرغمة لسنة التطور ، فما أضعف
الشبه بين عربية الجاهلية وعربية أيامنا ! هناك ألفــاظ وتراكيب
واصطلاحات اندثرت من تلقاء نفسها ، لأن اللغة الحية كجميع الكائنات

الحية تشمل قوتى التركيب والتحليل فهى من الجهة الواحدة تنمو وتتجدد بما تضمه الى معانيها ومفرداتها • ومن الجهةالأخرى تندثر منها الألفاظ الغريبة والمفردات الحوشية والكلمات غير المطلوبة • وهــذ ما تم للغة العربية في تاريخها ، وعلينا الآن أن نمهــد لها الوسائل لتجارى الحركة الكبرى في العالم بجميع شعبها وفروعها ، فيتسنى اذن أن تبقى رابطة فريدة بين مختلف الشعوب الشرقية • ولا يمكن أن نحافظ على مكانتها هذه الا وهى اللغة الفصحى القوية بقواعدها وأصولها النازعة عن الجمود للاحتكاك بنشاط الأفــكار حــولها •

وتنتقل الكاتبة الى الرد على النقطة الثالثة وهى وظيفةالمجمع اللغوى الذى يريد بها « سبيكو » أن نكون في قبول جميــع الألفاظ الدائرة على الألسن وتدوينها في قاموس اللغــة • فتقول الكاتبة :
ـ مخاطبة « سبيكو » ـ اذن يا سيدى الكريم ، ما شأننا والمجمــع في هذه الحال ؟ ولمــاذا تنعقد هذه الهيئة العلمية وكل فرد من أفراد الأمة « مجمع » قائم بذاته ؟•

الشعب يقول : (تلتوار) و (ترمبيل) و (سمسر) و (سجر) و (مارتزمو) أيكون انعاش اللغة بمثل هذه الألفــاظ التى تعــد بالمئات ؟ تجديد هذا وترقية أم هو مسخ وتشويه ؟•

في اللغات الأوربية لغو هو من سقط الألسن الجاهلة يسمونه :
Slang أو Argot ولا نعلم أنه يرضي باستعماله كاتب يحترم نفسه فضلا عن نبذ المجامع له •

فاذا كان الشعب كثير الاستعمال لمثل هــذه الألفاظ ، أيتحتم

تسجيلها في اللغة الراقية ، وهى التى يأبى الاصغاء اليها الفكر المهـــذب ؟ ٠

ان التعبير ارتقاء كما للأفكار والعواطف والميول ٠ وكلما لطفت النفس من امرىء وتثقف الفكر تهذب تعبيره وسما بيـانه لأن بين القلب واللسان سبيلا سويا ٠ وما نطمع فيه الآن هو انصاف أنفسنا فنصرح لها بأن تكون كما أرادتها الطبيعة وتفصح عن خـــوالجها بحرية ، وأن تنصف اللغة فنحترم قواعدها وأصولها فلا نحن نكذب ونداجى ، ولا اللغة تجمد وتختلط ، وما نطمع فيه ، ويعمل له التعليم والتهذيب هو رفع العامة الى فهم أوسع وأحذق ، والنزول ببعض الخاصة الى ميدان أسهل ليتم في اللغة ما هـــو تام بين المراتب من التمـــازج ٠

وبعد هذا التناول الموضوعى لقضية اللغة ، والمناقشة العلمية الجادة التى أكدت بها الكاتبةقدرتها علىالاقناع،واظهار الملابسات التى يتخذها أعداء اللغة سبيلا الى دعوتهم ، وكشف تلك الأقنعة المزيفة التى يغلفون بها دعاواهم تنتهى الكاتبـــة الى أن مميزات لغتنا هى ما فيها من التصاريف وحروف المعانى ، وهذه كافيةوافية٠ ثم تذكرنا بما كان للأوائل وموقفهم ازاء الألفاظ المستحدثة فتقول : ان لغتنا اذا اضطرت الى اسم لمسمى جديد ، فاما أن تضعه له واما أن تقتبسهمن غيرها ٠ على هذا النسق تمشت العربية في القـرون الأولى حين ترجمت اليها كتب العلم والفلسفة منالسريانيةواليونانية والهندية ٠ وقام فيها واضعو علوم اللسان ٠ فانهم وضعوا واشتقوا وعربوا واقتبسوا ، وبقيت العربية في مقامها الأنيق يتفنن في سبك المعانى وقوالبها أبو الطيب ، وأبو العلاء ، والصابى،والأصفهانى ، وابن سينا ، وابن رشد ، وأمثالهم من العلماء والأدباء ٠

لقد وسع القرآن اللغة العربية وحفظها من الدثور وأبقاها في رونقها الأول • ولا يطلب من أبنائها الآن لجعلها تجارى النهضة الفكرية والصناعية الحديثة الا أن يجروا على خطة أسلافهم الأولين في وضع المصطلحات وتسمية المسميات •

ان لغتنا واسعة حية ، نكتبها ، ورغم ما يعصانا من المفردات والمعانى فاننا نشعر بفيض فيها وتجدد •

الشعوب اليوم تحاول نشر لغاتها لتقوى كيانها وتروج مصالحها، وتحاول ايجاد لغة دولية جديدة يتفاهم بها الغرباء فيتحدون ويتضامنون وهى لغة « الاسبرانتو » وما نحوها • فكيف ينبذ الشرقيون هذه القوة الكبيرة التى امتازوا بها ، ويتجاهلون أهمية جامعة اللغة التى توحد بين عواطفهم وأفكارهم وميولهم ؟•

يكتب الكاتب العربى الواحد كلمة الشكوى ، أو الحرية ، أو الاصطلاح بخطها في زاوية كوخه في قرية بعيدة ، فيرن صوته في ملايين القلوب الشرقية وتتوزع عواطفه بين شعوب عديدة•وحسبنا هذا لنحرص على اللغة الفصحى التى هى رابطتنا الوحيدة الممكنة•

المراجـــع والمصـــادر

١ ـ اتجاهات وآراء في النقد الحديث ـ د٠ محمد نايل ـ مطبعـــة العاصمة ـ بدون ـ ٠

٢ ـ أثر العرب في الحضارة الأوربية ـ العقاد ـ دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ٠

٣ ـ الادب للشعب ـ سلامة موسي ـ ٠

٤ ـ أدب المازنى ـ نعمات أحمد فؤاد ـ مطبعة دار الهنا ١٩٥٤ م

٥ ـ الأدب المقارن ـ د٠ محمد غنيمى هلال ـ مكتبـــة الانجلو المصرية ـ الطبعة الثالثة ٠

٦ ـ أدب المقالة الصحفية ـ د٠ عبد اللطيف حمزة ـ الجزء الأول٠

٧ ـ الادب وفنونه ـ د٠ عز الدين اسماعيل ـ دار الفكر العربى ط ٢

٨ ـ الأدب اليونانى القديم ـ د٠ على عبد الواحد وافي ـ دار المعارف بمصـــر ١٩٦٠ م ٠

٩ ـ أصول النقد الأدبى ـ أحمد الشايب ـ النهضة المصرية ٠ الطبعة السابعة ١٩٦٤ ٠

١٠ ـ البارودى رائد الشعر الحديث ـ د٠ شوقى ضيف ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ٠

١١ ـ البحث الأدبى ـ د٠ شوقى ضيف ـ دار المعارف بمصر ـ ط ٢

١٢ ـ البناء الفنى للقصيدة العربية ـ د٠ محمد عبد المنعم خفاجى مكتبة القاهرة ـ الطبعة الأولى ٠

١٣ ـ بين الجزر والمد ـ مى زيادة ـ مطبعة الهلال ١٩٢٤ ٠

١٤ ـ تاريخ آداب العرب ـ مصطفى صادق الرافعى ـ الجزء الأول٠

١٥ ـ تاريخ الأدب الجغرافي لكراتشكوفسكي ـ ترجمة د٠ صلاح الدين هاشم ـ الجزء الأول ـ القاهرة ١٩٦٣ ٠

١٦ ـ تاريخ الأدب العربي ـ كارل بروكلمان ـ نقله الى العربية د٠ عبد الحليم النجار وآخرون ـ الجزء الأول ـ دار المعارف بمصر ط ٤ ٠

١٧ ـ تاريخ الأدب العربي ـ على الجندى ـ مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م ٠

١٨ ـ تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر ـ نفوسة زكريا سعيد

١٩ ـ تطور الادب الحديث في مصر ـ د٠ أحمد هيكل ٠
دار المعارف بمصر ـ ط ٢ ١٩٧١ م ٠

٢٠ ـ الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين
عباس محمود العقاد ـ (المكتبة الثقافية ١) ٠

٢١ ـ حديث الأربعاء د٠ طه حسين ـ دار المعارف بمصر ـ الجزء الثاني ـ الطبعة العاشرة ٠

٢٢ ـ الحياة الادبية في العصر الجاهلي ـ د٠ محمد عبد المنعم خفاجي مطبعة حجازى ـ الطبعة الأولى ١٩٤٩ ٠

٢٣ ـ الحياة العربية من الشعر الجاهلي ـ د٠ أحمد الحوفي
نهضة مصر ط ٥ ٠

٢٤ ـ دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ٠
د٠ محمد عبد المنعم خفاجي ـ دار الطباعة المحمدية ٠

٢٥ ـ دراسات في المسرحية اليونانية ـ د٠ محمد صقر خفاجة ٠

٢٦ ـ دول العرب وعظماء الاسلام ـ أحمد شوقى ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ ١٩٧٠ م ٠

٢٧ ـ الديوان ـ العقاد والمازنى ـ دار الشعب ـ ط ٣ ٠

٢٨ ـ ديوان البوصيرى ـ تحقيق : محمد سيد كيلانى ـ مطبعة الحلبى ـ الطبعة الثانية ٠

٢٩ ـ الشعر الجاهلي ـ مراحله واتجاهاته الفنية ٠
د٠ سيد حنفي حسنين ـ الهيئة المصرية العـامة للتأليف والنشر ١٩٧١ م ٠
٣٠ ـ الشوقيات ـ أحمد شوقي ـ مطبعة مصر ـ الجزء الأول ٠
٣١ ـ شوقي شاعر العصر الحديث ـ د٠ شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصـر ٠
٣٢ ـ شوقي ـ شعره الاسلامي ـ د٠ ماهـر حسن فهمي ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ٠
٣٣ ـ طبقات الشعراء ـ ابن المعتز ـ دار المعارف بمصر ـ تحقيق : عبد الستار فراج ـ الطبعة الثالثة ٠
٣٤ ـ العصر الجاهلي ـ د٠ شوقي ضيف ـ دار المعـارف بمصر ـ الطبعة الخامسة ٠
٣٥ ـ غرائب اللغة ـ روفائيل نخلة اليسوعي ٠
٣٦ ـ فرنسيس باكون ـ العقاد ٠
٣٧ ـ فن الشعر ـ د٠ محمد مندور ـ المكتبة الثقافية (العدد ١٢)٠
٣٨ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي ـ د٠ شـوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر ـ ط ٧ ٠
٣٩ ـ في أصول الأدب ـ أحمد حسن الزيات ـ مطبعة الرسالة ١٩٥٢ الطبعة الثالثة ٠
٤٠ ـ فيض الخاطر ـ أحمد أمين ـ الجزء الأول ٠
٤١ ـ القاموس المحيط ٠ الجزء الرابع ٠
٤٢ ـ قراءة جديدة لشعرنا القديم ـ صلاح عبد الصبور ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ٠
٤٣ ـ القيان والغناء في العصر الجاهلي ـ د٠ شوقي ضيف دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ٠
٤٤ ـ قيم جديدة للأدب العربي ـ د٠ عائشة عبد الرحمن دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٠ ٠

٤٥ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ الجزء ١٤ ـ ط بولاق المصورة ٠

٤٦ ـ محاضرات عن فن المقالة الأدبية ـ د٠ محمد عوض ٠

٤٧ ـ المزهر ـ السيوطى ـ مكتبة صبيح ٠

٤٨ ـ المسرحية ـ عمر الدسوقى ـ دار الفكر العربى ـ ط ٤ ٠

٤٩ ـ مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ٠
د٠ ناصر الدين الأسد ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الرابعة٠

٥٠ ـ مع العقاد ـ اقرأ (٢٥٩) ٠

٥١ مقدمة ابن خلدون ـ المكتبة التجارية ٠

٥٢ ـ مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلى ـ د٠ حسين عطوان ٠

٥٣ ـ الموازنة بين الشعراء ـ د٠ زكى مبارك ٠
دار الكتاب العربى ـ ط ٢ ٠

٥٤ ـ نجعة الرائد في المترادف والمتوارد ـ ابراهيم اليازجى ـ الجزء الأول ٠

٥٥ ـ النظرات ـ المنفلوطى ـ الجزء الثانى ـ بيروت ٠

٥٦ ـ النقد الأدبى ـ احمد أمين ـ الجزء الأول ٠
مطبعة النهضة المصرية ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٢ ٠

٥٧ ـ النقد الأدبى الحديث ـ د٠ محمد غنيمى هلال ـ دار مطابع الشعب ـ الطبعة الثالثة ٠

٥٨ ـ النقد الأدبى عند اليونان ـ د٠ بدرى طبانة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الأولى ٠

دوريـــــات

١ ـ مجلة الثقافة ـ العدد ٨٢٨ لسنة ١٩٥٢ م ٠

٢ ـ مجلة الفتح ـ العدد ٨٤٩ ، العدد ٨٥٠ لسنة ١٣٦٦ هـ ٠

٣ ـ مجلة مجمع اللغة العربية ـ الجزء الأول ٠

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٣/٥٨٥٣